الفصل السابع

في صدق المعجزات المذكورة في الانجيل

بعد ان راينا في الفصل السابق امكان وجود بيناتٍ للمعجزات تجعلها محلاً للتصديق اتينا الان لنفحص البينات التي بها تُبرهَن صحة وقوع المعجزات المذكورة في الانجيل. ولايخفى ان ذلك اعظم مقاصدنا في هذا البحث. لانهُ بدون بيناتٍ كافية لصحة الديانة المسيحية لايمكننا الايمان بها. فقبل الدخول في هذا البحث وتمهيدًا لهُ نضع بعض مبادي يسلّم بها كل من لهُ اطلاعٌ على هذا الموضوع

فنقول ان البرهان ببينات الشهادة يحتمل جميع الدرجات من رجحان ضعيفٍ الى اليقين التام. حتى اننا ما نقبل بعض اخبارٍ الا باضعف التسليم ونتيقن بعضًا كما نتيقن ما نشاهده بحواسنا او يُبرهَن عليهِ بقواعد تعليمية

ثم ان مقدار قوة الشهادة لايُحسَب بحسب قاعدة معلومة ولايُقاس بالحساب العقلي. بل انما يُعرَف بالاختبار. فنُصَدّق بعض اخبارٍ غاية التصديق من دون ان نقدر ان نعيّن ماذا يُبنَى عليه هذا اليقين. وذلك على ان اصول معرفتنا قد تكون

متعددة ووصول الاخبار الينا يكون على طرق متنوعة حتى انهُ لا يمكننا ان ننسب الى كل واحدٍ من هذه الاشياء مقدارهُ الحقيقي من مجموع تاثيرها فينا. فلو سُئلنا مثلاً على اي شهادةٍ نصدّق بوجود مدينة رومية او بما فعل الجنرال بونابارته في اوروبا لأجبنا على العموم بانهُ قد ورد الينا شهادات متكاثرة على ذلك حتى انه لم يبقَ لنا سبيلٌ للارتياب. وهذا التصديق نفسه المبني على مثل تلك الاسباب نصدّق بهِ في امورٍ مضت من اجيالٍ عديدة. فمن الذي يمكنهُ الارتياب مثلاً بانهُ في الايام الماضية كان يوليوس قيصر او بولس الرسول او هرون الرشيد او كولومبوس او لوثاروس

ثم انهُ بعد ما نحصل على مقدارٍ كافٍ من البينات لا تنفعنا الزيادة شيئًا اذ قد وصلنا بدونها الى الغاية القصوى من الاقناع. كما في علم الهندسة ان برهانًا صحيحًا على قضيةٍ يقوم مقام مائة برهان. وبعض شهودٍ عادلين متفقين لا تناقض بينهم يوقعون الاقناع كشهودٍ لا عددَ لهم. وفي التفتيش على قاتل نفسٍ لو وُجِد الف شاهدٍ لاثبات الجرم على شخصٍ ما لا يرى مجلس القضاء لزومًا لطلب اكثر من خمسة او عشرة انفار بشرط اتفاقهم في الشهادة

ثم انه وان لم يعلّمنا الا الاختبار مقدار البينة اللازمة للاقناع التام نعلم من الاختبار السابق ماذا يكون تاثير بينةٍ من البينات

في المستقبل ومما أثرت فينا نستدل على تاثيرها في الاخرين

ثم ان الشهادة الضعيفة قد ياتيها احيانًا ظروفٌ تقويها او تبقى للمشهود بهِ نتايج نستلزم وقوعهُ حتى تصير الشهادة مقنعة فنصدقها ضرورةً . مثلاً لو اخبر مورخٌ يُشَكُّ بصدق قولهِ بكسوف الشمس في يومٍ معلوم في مكانٍ معلوم فان لم تكن لنا بينةٌ اخرى لصحة ذلك لترددنا بين تصديق الخبر وتكذيبهِ . ولكن لو وُجِد من حساب علم الفلك ان الشمس قد انكسفت في ذلك الزمان انكسافًا يُرَى في ذلك المكان لكان يُصدَّق خبر المورخ من دون شبهة . او لو وجدنا في كتابٍ لا يُعرَف مولفهُ ان زلزلةً قد اخربت مدينةً في زمنٍ ما ولم تكن لنا بينةٌ اخرى لصحة ذلك لترددنا في التصديق . ولكن لو وجدنا من المشاهدة او من اخبار اهل السياحة الصادقين اثار مدينةٍ قديمة في ذلك المكان لتحققنا صدق الخبر

ثم ان بينات الديانة المسيحية قد تكون كافية للاقناع بصحتها من دون ان تزيل كل محل للشبهة وتجعل الانكار غير ممكن . وربما قصد خالقنا ان تكون كيفية تصرفنا في الفحص عن الحق وقبولهِ جزءًا عظيمًا من امتحانهِ ايانا في هذه الحيوة . واذ ذاك لم يجعل للوحي من البينات ما لا يمكن رفضهُ . بل ما لا يغلط فيها كل طالبٍ مخلص النية غلطًا مهلكًا مع ان ذوي الافتخار والغرض الذين يفضلون الظلمة على النور لا يكادون

ينجون من الغلط فيه

ثم ان الناس طبعًا يتكلمون بالصدق . واما الكذب فيتكلفونهُ على غير الطبع . والاشرار لا يكذبون الا لغايةٍ تعود الى مصلحة انفسهم . فالاتفاق بين اشخاصٍ على الغش لا يكون الا عند ما يرون العمل راجعًا الى افادتهم . ولذلك لا ترى جماعةً يشتغلون في اختراع اكذوبةٍ ونشرها بين الناس وهم لا يرجون منها نفعًا . ومن بابٍ اولى لا يتداخلون في الكذب بما يجلب الشر عليهم وهم يعلمون انه لا يكون لهم الا سببًا للاذى والعار

ثم بين الحق والكذب اختلافٌ عظيم حتى انهُ من اصعب الامور ان يتزيَّ هذا بلباس ذاك على نوع يمنع كشف الفرق بينهما بواسطة الفحص الكافي . فان الكذب مهما كان عميقًا لا يحتمل الفحص المدقق . واسلوب الحق وطريقة التعبير عنهُ يختلفان جدًّا عما للكذب . فالحق يتبع طريقًا مستقيمًا مكشوفًا لا تصنُّع فيهِ . واما الكذب فطريقهُ منحرف متلبسٌ مزوَّر متناقض وكثيرًا ما يفتضح بما يُستعمَل لستره

ثم انهُ عند ما تتعلق صعوباتٌ بطرفَي مسئلةٍ يرشدنا العقل الى ان نختار اقلهما صعوبةً . والحال ان محاربي الديانة المسيحية كثيرًا ما لا يلتفتون الى صعوبات اوهامهم . فان لكل مسئلةٍ طرفين ان انكرنا الايجاب نقبل السلب بالضرورة مع كل ما يتعلق بهِ من النتايج . فاذا رفضنا بينات الديانة المسيحية

وانكرنا وقوع المعجزات نلتزم بتقديم سببٍ لوجود الكنيسة المسيحية وسيرة معلميها والمومنين بها الاولين على وجهٍ اخر. ومن ياخذ على نفسهِ ذلك يجدهُ حملاً ثقيلاً. وبعضهم قد افرغوا قوتهم في ذلك عبثًا فاصبح تعليلهم عن اصل الديانة المسيحية لايشفي غليلاً وهو ناقص في البينات التاريخية نقصًا كليًا

ثم ان تعادلت بينات الطرفين نطلب الحكمة ان نميل الى الطرف الاسلم. وهو في هذه المسئلة طرف الديانة. لاننا ان غلطنا بميلنا اليها لانخسر شيئًا بل نحصل على شيء من الصلاح واما الغلط بالميل الى الكفر فمهلكٌ الى الابد

ثم ان القضية المثبتة بالبينات الكافية اللايقة لايجب ان يتزعزع ايماننا بها من جرى كل اعتراض لايمكننا حلُّهُ. والاَّ لغرقنا في ريبٍ من الاشياء كلها اذ لاتوجد حقيقة لايتكلف الاعتراض عليها بشيء يعسر حلُّهُ تمامًا. حتى ان اجلى الحقايق في العلوم لاتخلو من مثل ذلك. وهذه الحال لابد منها طالما عقولنا منحصرة واتساع العلم البشري ضيق. فلهذا يغلط كل من يظن انهُ انتصر على الديانة المسيحية عند ما يجد اعتراضًا عليها يعسر حله. نعم انهُ يوجد من الاعتراضات ما يتعلق بجوهريات القضايا التي ان ثبتت ابطلت البينات. ولكن كثيرٌ منها عرضيٌ لايتعرض لصحة البينات. والى هذه ينجّه قولنا انهُ لايجب ان يتزعزع ايماننا من جرى كل اعتراضٍ لايمكننا حلهُ

ولنأتِ الان الى فحص الشهادات على المعجزات المذكورة في الانجيل . وكلامنا في هذا البحث انما هو مع الذين يسلّمون بانهُ قد كان انسانٌ اسمهُ يسوع المسيح في بلاد اليهودية في الزمان الذي ذكرهُ الانجيليون . وبأنه قد علّم آدابًا نقية جليلة وعاش عيشةً طاهرة فاضلة ثم قتلهُ بيلاطس مراعاةً لخواطر اليهود . وبأن تلاميذهُ خرجوا بعد ذلك الى بلاد كثيرة يكرزون ان يسوع المصلوب هذا كان قد أُرسِل من الله لخلاص العالم . وبأن كثيرين من الناس تحركوا الى الدخول في الكنيسة المسيحية . ولان هذه القضايا ليست بمعجزاتٍ ومن الضرورة ان يُسلَّم بمثلها قد اقرَّ بصحتها اكثر الكافرين بنزول الوحي

واما اول ما يُبرهَن عليه في فحص الشهادات المكتتبة فيجب بالضرورة ان يكون صدق الكتاب الذي يتضمنها . فالكتاب الذي توجد فيه البينات على صحة وقوع المعجزات التي صنعها يسوع المسيح ورسلهُ هو الانجيل . ولنا فيهِ اربع قصص عن حيوة يسوع الناصري ومعجزاتهِ وموتهِ وقيامتهِ وصعودهِ الى السماء . وايضًا يوجد فيهِ تاريخ اعمال الرسل وما كابدوهُ في التبشير بالانجيل ووضع اساس الكنايس المسيحية الاولى بعد قيامة معلمهم وصعودهِ . ولنا ايضًا في هذا المجموع جملة رسايل منها الى المومنين على العموم ومنها الى كنايس مخصوصة ومنها الى اشخاص مفردة . ثم زِيد على هذا كتابٌ اخر ليوحنا في النبوة . فصار المجموع

يُعرَف بالعهد الجديد

ثم نقول ان هذه الاسفار ليست بحديثة الاصل لانها توجد منها الان نسخ في اللغة اليونانية قد كُتِبت اقل ما يكون من الف ومايتي سنة. وقبل ان تكتب هذه النسخ القديمة باجيال لنا شهادات عديدة من كتبٍ اخرى على وجود الكتب المسيحية. وهي لاتذكر وجودها فقط بل تورد منها عبارات عديدة وكثيرًا ما تشرحها. حتى انهُ لو فقدت جميع نسخ العهد الجديد لامكن الحصول على جانبٍ معتبر منهُ من كتب هولاء المعلمين القدماء. وايضًا يوجد في هذه الايام ترجمات قد اشتقت عنها الى لغاتٍ مختلفة في الاجيال الاولى. فبهذه الوسايل يمكننا الحاق هذه الاسفار بزمان الرسل

ثم لنا ايضًا برهان قاطع ليس من مولفين مسيحيين فقط بل من الوثنيين ايضًا انهُ كانت جماعةٌ يسمُّون انفسهم مسيحيين في زمن نيرون قيصر الروماني الذي كان معاصرًا للرسل. فمن اللازم في نفس الامر ان اخبارًا مثل ما ذُكِر في الانجيل كانت مصدقة ومقبولة عند الكنيسة المسيحية في بداية وجودها. اذ لو لم يُقرَّر بان المسيح كان قد أُرسِل من الله وعمل عجايب للشهادة على رسوليتهِ وآمن بعض الناس بذلك فكيف كان يمكن انتظام مثل هذه الجماعة. فان التصديق بذلك يكون كالتصديق بوجود بنيانٍ بلا اساس. ثم انهُ لابد ان

قيامة المسيح من الموت كانت من اعتقادات المسيحيين الاولين لانها ركن البناء جميعهِ اذ لو نُزِعَت هذه القضية من الاعتقاد المسيحي لهبط ولم يبقَ منهُ شيء. وايضًا يجب بالضرورة ان بعض رسوم خارجية مختصة بالديانة المسيحية تكون قد وجدت منذ انتظام الجماعة المدعوين بالمسيحيين اولًا. لانها هي علامات الاقرار المسيحي وجزء من عبادتهم. والاشارة هنا الى المعمودية والعشاء السري. ولا يُسلَّم انهُ قد وجدت الديانة المسيحية اولًا ثم قبلت هذه الاعتقادات والرسوم في العبادة. لان ذلك يكون كالظن ان جماعةً دينية قد قاموا بدون معتقد وطقوس ثم اتخذوها واقنعهم الذين علموهم اياها انها قد كانت عندهم من البداية. ولا يخفى ان هذا مما لا يحتمل وقوعهُ. بل من المحال انهُ قبل اشتهار الانجيل لم يكن للكنيسة المسيحية علمٌ بالمعجزات والرسوم المذكورة فيه ثم عند ما اشتهر صدقوا ان جميعهم مبنية على الايمان بقيامة يسوع وبانهُ وضع المعمودية والعشاء السري قبلما ترك العالم. فلا شيء اوضح من ان المسيحيين كانوا يومنون ويعلمون بوجب خلاصة الانجيل حالما انتظموا جماعةً

ثم كما ان هذه الكتب قد اتت الينا منسوبة الى بعض رسل يسوع المسيح وتلاميذهِ كذلك كانت تُنسَب الى هولاء الاشخاص ممن ذكروها اولًا. ويشهد بذلك الاباء القدماء كقضية لا ريب فيها عند الجميع. ولا يُظَنّ انهُ في اوايل الديانة المسيحية

لم يُفحَص بالتدقيق عن الذين صنفوا هذه الكتب وعن صفاتها ايضاً. لان الامر كان بالعكس وقد فُحِص بكل اجتهادٍ عن مثل هذه الامور. فانه انتشرت كتبٌ اخرى باسماءِ الرسل غير صحيحة النسبة تدّعي بالاخبار عن يسوع المسيح وكان الفرق بين هذه الكتب من كل نوعٍ وكتب العهد الجديد صريحاً في تلك الايام كما كان بعدها. فكانت كتابات الرسل مكرمة عند الجميع ومقبولةً عند الكنايس في كل العالم كدستورٍ لايمانهم وسيرتهم وكانت تُقرَأ في اجتماعاتهم لاجل تعليم الشعب. وعند ما حدثت اختلافاتٌ بينهم كانوا يستشهدونها لاثبات دعاويهم على انها قاعدة يجب الحكم بموجبها. ومن حين انتشرت تفرقت نسخها على وجه الارض واحتُفِظ عليها كل الاحتفاظ حتى انهُ لم يبقَ لاحدٍ قدرةٌ على تحريفها او تغيير شي منها خلافاً لزعم الذين يعتقدون انها قد فسدت وتحرفت

ثم ان اسلوب كتابتها ولغتها برهانٌ خصوصي على حقيقة نسبتها. نعم ان ذلك لايدلُّ على اشخاص الكاتبين ولكن يدل على انهم كانوا في تلك الظروف عينها التي كان فيها الذين انتسبت الكتب اليهم. فان الكلمات في اصل الانجيل يونانية واما اسلوب الكلام فهو عبرانيٌّ او بالحري ممزوجٌ من السريانية والكلدانية. وكانت هذه اللغة لغة بلاد اليهودية في ايام المسيح ورسلهِ خاصةً. ولايخفى ان هذا مما لايسهل تزويرهُ لسبب غرابته.

فيكون ذلك برهانًا على ان العهد الجديد كتبهُ اناسٌ من بلاد اليهودية وفي الزمان الذي كان فيه المسيح ورسلهُ. ثم انهُ كثيرًا ما يشار في العهد الجديد الى انهارٍ وجبالٍ وابحرٍ ومدن وبلاد لايشير اليها على منوال الانجيل مَن ليس لهُ خبرةٌ جيدة في بلاد اليهودية وما يليها من غير ان يقع في غلطٍ عظيم. والاشارات ايضًا الى طرايق اليهود والعوايد المختصة بهم هي كثيرة جدًّا. ويشار ايضًا بطريق العرض الى اشخاصٍ وامورٍ نعلم حقيقة وجودها من كتبٍ اخرى

فبناءً على ما تقدم يجب التسليم بان هذه الكتابات انما هي كتابات الذين هي منسوبةٌ اليهم من الرسل وغيرهم. حتى ولو كتبها اناسٌ اخرون لبقي تصديقها واجبًا اذ لاريب في انها كُتبت في ذلك العصر وقَبِلها جمهور المسيحيين في ذلك الوقت. ولكن ما الداعي الى الارتياب في صحة نسبة هذه الكتب. من هو اجدر من الرسل بكتابة اسفارٍ مثل هذه لارشاد ايمان الكنيسة. وان كان لم يكتبها هولاءِ فمَن كَتبها. ثم ان قبولها عند الجميع بدون خلافٍ يجب ان يسكّت كل مماحكٍ اذ كان الذين عاشوا في تلك الايام يعرفون الرسل ولهم تعلقٌ كثيرٌ بهذه الامور ولهم حق الحكم في هذه القضية. فقد حكموا بصوتٍ واحد لصحة نسبة كتب العهد الجديد التاريخية اي الاناجيل الاربعة والابركسيس وتسلسلت الينا شهادتهم بدون انقطاع حتى ان مولفي الام

والارانقة يشهدون بصحة نسبة الاناجيل الى الذين هي حاملةٌ اسماءهم

واما الكتابات القديمة الاخرى فمن جهة حقيقة نسبة افضلها ليس لنا في الغالب من البينات الا راي المعاصرين متسلسلاً الينا بواسطة تقليدٍ غير مناقض. فلو طُلِب لنا اليفات هوميروس مثلاً ما يُطلَب لاثبات صحة انتساب العهد الجديد لطُرِحَت بمعزلٍ حالاً كما لاصحة لهُ. ولا توجد بيناتٌ لسائر كتب المورخين والشعراء اليونانيين واللاتينيين على انها مصنفات الاشخاص المنسوبة اليهم كالتي توجد لكتب متى ومرقس ولوقا ويوحنا. اذ ليس لنا فيها شهادة افرادٍ فقط بل شهادة جماعات مختلفة ايضاً متفرقة في العالم. ولنا ايضاً براهين داخلية لايمكن تزويرها. وبالاجمال لنا كل نوعٍ من البينات مما تحتملهُ القضية. واذ ذاك تكون القضية مثبتة ان كتب العهد الجديد انما هي مكتوبةٌ من الرسل. فهي اذن تحتوي على شهادتهم لمعجزات يسوع المسيح ولما فعلوهُ من المعجزات باسمهِ بعد صعودو

وانهُ لمن المحقق ايضاً انهُ لم يدخل على كتب العهد الجديد تغييرٌ كليٌّ بعد ما كتبت. لانهُ يوجد اتفاق في جميع النسخ والترجمات القديمة وما نُقِل عنها. نعم يوجد اختلافات يسيرة وقعت من جهل النساخ او غفلتهم. ولكن ليس باكثر مما يُنتظَر وقوعهُ طبعاً. ولم يصل الينا كتابٌ صحيحاً او مصحوباً

بوسايط لاصلاح غلط الخط كالكتب المقدسة. والاختلافات التي وجدها المعلمون في مقابلة النسخ القديمة ليس واحدة من الالف منها تستحق الاعتبار. لانها طفيفة جدًّا من حيث ان اكثرها يكون اما من جهة الهجاء او في ترتيب الكلمات او في استعمال الالفاظ المترادفة. فلا يختلُّ المعنى بذلك اصلاً

وبعد ان اثبتنا حقيقة نسبة الكتب التي تتضمن الشهادة اي ان قد كتبها الذين هي منسوبة اليهم اتينا الان الى الكلام في تصديقها. فنقول اولاً انهُ لا ريب في ان كثيرًا من الوقايع المذكورة في الانجيل معجزاتٌ حقيقية. فانهُ يُخبَر فيهِ عن اقامة يسوع المسيح الموتى مرارًا منها مرةً كان للميت اربعة ايام وكان قد انتن. وفي جميع هذه المرار فعل المعجزة حالاً بدون واسطةٍ غير قولهِ كلمةً. وفيهِ يُخبَر ايضًا عن ابرآيهِ كثيرًا من الامراض المزمنة التي لا دواءَ لها كالعمى والطرش والخرس والعرج. وعن اخراجهِ الشياطين من المجانين واشباعهِ الوفًا من الناس بقليلٍ من الخبز والسمك وبعد ما شبعوا تبقَّى من الكسر اكثر مما كان اصلها. وعن مشيهِ على البحر وتسكينهِ العواصف بكلمتهِ. واخيرًا يخبر فيهِ مكررًا عن ألسنة الشهود بان يسوع المسيح بعد ان صُلِب ومكث في القبر ثلثة ايامٍ قام من الموت وبعد ان ارى نفسهُ لتلاميذهِ مرارًا عديدة صعد الى السماء امامهم. ولا ريب ان هذه جميعها معجزات حقيقية. نعم اننا

لانعلم جميع قوى الطبيعة ولكن نعلم بكل تحقيقٍ ان مثل هذه الاعمال لاتُعمَل الا بقدرة الله الخاصة . ويصدق هذا القول ايضاً على المعجزات التي صنعها الرسل باسم الرب يسوع وبالخصوص على تلك المعجزة الفايقة يوم العنصرة عند ما حلّ الروح القدس على الرسل بصورةٍ ظاهرة واعطاهم موهبة النطق بالالسنة الغريبة وغيرها من المواهب الفايقة الطبيعة . فيلزم الجميع التسليم بان هذه الاعمال ان كانت قد وقعت فهي معجزاتٌ لامحالة

ثانياً كان يسوع يصنع ما صنعهُ من المعجزات غالباً على طريقٍ ظاهرة بحضرة شهودٍ كثيرين على نظر اعداءٍ علماء خبثاء في ظروفٍ كثيرة الانواع وذلك على سنين متوالية . فلم يبقَ وجهٌ للحيلة او لصناعة اليد او لغش الحواس او غير ذلك مما يخدع الناظرين . ولا يخفى ان هذا الامر مهمٌ لانهُ يُثبت اثباتاً بيّناً ان الرسل انفسهم لم يخدعوا بما قد شهدوا لهُ . والقول بانهم كانوا يعتقدون ان مثل هذه الاعمال التي عاينوها كل يومٍ على سنين كانت معجزاتٍ لكنهم انغشّوا بذلك ليس بابعد من القول باننا قد انخدعنا في كل ما ورد علينا مدة حيوتنا

ثالثاً يجب الالتفات الكلي الى صفات المعجزات المذكورة في الانجيل . فانها كانت لايقة بعظمة ابن الله وعدلهِ وجودتهِ متصفة بالسمو واللياقة واللطف بل ان اكثرها كانت اعمال شفقة نحو البايسين . ومع كثرة عددها واختلاف ظروفها لم يكن

في واحدة منها شيء من الهزء او الركاكة او نية الانتقام من اعدآئهِ. ولم يستعمل المسيح قط قدرتهُ للفرجة او للقيام بحاجاتهِ او لاكتساب المال والسطوة. ومع انهُ اطعم جموعًا جايعين واشبعهم بواسطة المعجزة ارتضى ان يجوع هو ويحتاج. ومع ان الطبيعة كانت تحت امرهِ عاش في الفقر اذ لم يكن لهُ مأوى لراحتهِ. ومع ان اليهود رفضوهُ وعاملوهُ بالشرّ لم يردَّ احدًا اذا طلب منه شيئًا يساعدهُ بهِ. ومع ان حيوتهُ كانت من جرى الجموع التي اجتمعت اليهِ متعبةً وغير مرضية لم يملَّ من عمل الخير اصلاً. وكل من يطّلع على اخبار معجزات المسيح المذكورة في الاناجيل الاربعة الصحيحة والخرافات المذكورة في الاناجيل الغير القانونية المزوَّرة يندهش لامحالة من الفرق بينهما. وهكذا معجزات المسيح مع معجزات كل من ادَّعى بها كاذبًا من قبلهِ ومن بعدهِ. ولا نرى كيف ان انسانًا خاليًا من الغرض عند قرآءتهِ المعجزات المذكورة في الانجيل لايقتنع بصحة وقوعها من مجرد النظر الى نفس هذه المعجزات وظروفها

رابعًا لاتوجد علامات مكرٍ ولا تزويرٍ في الشهادة ذاتها بل بالعكس توجد علامات الحق والصدق والنية الصالحة في اصحابها. ومع انهم يختلفون في اسلوب الكتابة وطريقة الكلام بحيث يظهر انهُ لم يكتب الاناجيل الاربعة انسانٌ واحد ولكن لهم اسلوبٌ مشترك بينهم جميعهم على سبيلٍ لانظير لهُ الا بين

كتبة الاسفار المقدسة. كأنَّ ذلك صادرٌ من اعتصامهم على نوعٍ خصوصي عن انفعالات الطبيعة البشرية وضعفها. لانهُ في اخبارهم عن اعظم المعجزات لايظهرا العُجب في الكاتب ولا يُطلَب ذلك من القاري. فلا يخبرون عن صفات المسيح الا بمجرد الخبر البسيط بما عمل او تكلم ولايشرحونها شرحًا عموميًا ولا يستعملون الثاب المديح لاجل اظهاره. وربما لاتوجد عبارة واحدة من اصحاب الاناجيل مديحًا في احدى خطاباته او اعماله. وذكرهم شيئًا من ذلك ان وُجد انما هو حكايةٌ عن اخرين رأوا ان يضعوها كمورخين امناء. وعند ما يخبرون عن آلام المسيح لايتأوَّهون على ذلك بحسب عادة البشر ولا تميلهم محبتهم لهُ عن الخبر البسيط. بل انهم يخبرون عما حصل كانهم لايشعرون الا بعزمٍ ثابتٍ على اعلان الحق بدون تحريف القضايا في ادنى شيء. ولا نراهم يتفوهون بكلام الحنق والغضب على اعداء المسيح بحسبما ننتظره طبعًا. ولا ينطقون بكلمةٍ قاسية غليظة على احد. حتى انهم يخبرون عن نفس خيانة يهوذا بتلك البساطة عينها كانهم لايشعرون بقبح عملهِ

ثم يوجد امرٌ اخر تظهر منه صفات اصحاب الاناجيل على وجهٍ اوضح واجلى. وهو كيفية تكلمهم عن انفسهم بدون اظهار قوة محبة الذات. وذلك نادرٌ في الناس حتى ان البسطاء يتكلمون بالمديح عن انفسهم في الغالب كلامًا مكروهًا. والذين يرضون

باظهار الحق يميلون غالبًا الى طلب ما يتعوضون بهِ عمَّا يخبرون من زللهم. واما اصحاب الاناجيل فلا يوجد مثَل واحد على ادنى ميلٍ فيهم الى هذا الضعف. فانهم يتكلمون عن انفسهم وعن اصحابهم بتلك البساطة عينها الموجودة في اخبارهم عن غيرهم. فيذكرون بكل وضوح دناءة نسبهم وصنايعهم وغلاظة جهلهم وشدة انحرافهم وخصامهم على الرياسة وخوفهم وقت الخطر وسقوط احدهم سقوطاً مهلكاً وانكار اخر منهم معرفة سيدهِ برهةً ما. وان ظنَّ احدٌ ان انشاء كتب على اسلوب الاناجيل امرٌ سهل فذلك من قلة التفاتهِ الى ما نحن فيهِ. فانه من العجب ان يستطيع هولاء الاميّون كتابة كتب صحيحة ولو على الاسلوب الاعتيادي. اذ قلَّ ما يوجد من الصيادين والصنّاع الذين اصرفوا حيوتهم في الاعمال المزعجة ولم يتعلموا صناعة الانشاء اناسٌ يمكنهم ان يكتبوا خبر حيوتهم من غير ان تقع في كلامهم عيوبٌ عظيمة. واما ما يظهر من هولاء الاميّين من عدم الميل والغرض بحسب الظروف التي تقدم ذكرها فهو امرٌ لاتكشف عنه المبادي الاعتيادية

واما ما يستحق الاعتبار الخصوصي فهو عدم لوايح النيَّة الردية في جميع ما كتبوهُ. فان طلبنا من الكافر ان يرينا من الانجيل امرًا او كلامًا يلوح عليهِ سوء نية اصحابهِ لما وجد فيهِ شيئًا من ذلك ولو قرأهُ حرفًا حرفًا. فيلتزم بالاقرار انهُ لاشيء

من النية الشريرة او الغاية الردية في اربعة كتبٍ كتبها على زعمهِ اناسٌ خدَّاعون قد خدعوا غيرهم بمكرهم واكاذيبهم الكثيرة وذلك شيءٌ لا يوجد في جميع الكتب التي كتبها اناسٌ كذابون لانها لا تخلو من ان تلوح عليها النية الردية

نعم انهُ يوجد من ذوي العلم والتقوى من ظهر عليهم خلوصٌ غير اعتيادي في ما اظهروه من اخبار ضلالهم واغراضهم وخطاياهم. غير انها لا تخلو من لوائح الضعف البشري. وبعض الكافرين ايضًا قد اشهروا اخبارهم عن حيونهم وذنوبهم الخفية. منهم المعلم روسو وهو الذي اشتهر اكثر ما يكون في ذلك. فانه يدَّعي بانهُ اعترف للناس بجميع ذنوبهِ التي ارتكبها مدة سنين كثيرة في كتابٍ طبعهُ ونشرهُ في العالم. وحقًّا قد اخبر فيهِ عن شرورٍ يخجل منها الشيطان نفسه. ولكن هذا الرجل المولع بالخطية قد افتخر بما يستحق الخجل وقال انهُ عازمٌ عند ما يقف قدام كرسي الدينونة ان يحضر بكتابه في يدهِ ليسلمهُ بيد الديان على انهُ اعترافهُ واعتذارهُ. فمن شفافة رداء التصنع نرى فيه اعظم الكبرياء والغرور. لانه مع ان هذا الاعتراف الفضولي يتعدى على مقتضى الضمير واللياقة باشهار ما لا يجوز التلفظ بهِ لا يُري المعترف شيئًا من الحزن والتوبة. بل ان ظاهرهُ يدلُّ على الاعتذار عن الخبث والقباحة. ومرادهُ بذلك انما كان طلبًا لشهرةٍ جديدة ومجدٍ لم يعرفهُ الغير. وربما لا يوجد كتابٌ في اي لغةٍ كانت مملوءٌ من الكبرياء

والافتراء مثل هذا. والظاهر ان سبب اعترافه هكذا كان ثقته بفساد الناس فانتظر منهم مديحًا كثيرًا لاجل خلوص اقراره وذمًّا قليلاً لاجل سوء عملهِ. ولكن بما انهُ قد رفع دعواهُ الى حكم ديوانٍ اخر فلنا ان نشكَّ بقبولهِ هنا لك من المدح الكثير والذم القليل ما كان ينتظرهُ. فبين مثل هذا الاعتراف القبيح وبين التقرير البسيط الوديع الذي قرَّرهُ اصحاب الاناجيل فرقٌ لا يوصف

ثم لانتعرض الى ذكر غير امرٍ واحدٍ ايضًا يجب الالتفات اليهِ في كتابة الرسل. وهو انهُ في اخبارهم عن يسوع المسيح بالتفصيل لايشار البتة الى صورة شخصهِ. فاننا جاهلون بقامتهِ وهيئتهِ وصورة وجههِ ولونهِ الى غير ذلك من صفاتهِ الشخصية كما لو لم يكتب الانجيل. وفي السكوت عن هذه الاشياء حكمةٌ كلية مع انه لو اتبع الكتبة حركات قلوبهم لكُنَّا نجد اقلهُ شيئًا من الاشارة اليها

خامسًا ان الاعتراض على الشهادة من حيث قلة عدد الشهود لا اعتبار لهُ. لان اكثر القضايا التي وصلت الينا بواسطة التاريخ الثابت لا يشهد لها اكثر من مؤرخَين او ثلثة الاَّ نادرًا. وكثيرًا ما نقبل شهادة واحدٍ اذا كانت جميع ظروف القضية المشهود لها توافق خبرهُ. واما هنا فلنا اربعة شهود مستقلُّون لهم معرفة تامة بما يشهدون لهُ كان اثنان منهم وهما متى ويوحنا من

الاثني عشر الذين رافقوا يسوع حيثما ذهب وراوا كل اعمالهِ والاثنان الاخران وهما مرقس ولوقا قد يمكن ان يكونا من الذين عاينوا اياتهِ ايضًا اذ كثيرون يظنون انهما كانا من السبعين تلميذًا الذين ارسلهم المسيح للتبشير حتى وان لم يكونا منهم فقد يمكن انهما كانا من اتباعهِ او كانا حاضرين في اورشليم وفي اماكن اخرى حيث صنع اياتهِ ومعجزاتهِ . ولكن لا احتياج الى فرض احد هذين المذهبين لانهما كانا في عصر من يشهدان لهُ وكانا من المومنين الاولين ومن اصحاب الرسل الملتزمين بهم وترددوا كثيرًا بين الكنايس . اذ كان مرقس اولاً رفيق بولس وبرنابا ثم التصق ببطرس الذي من وعظهِ جمع انجيلهُ بحسب تقليدٍ عمومي عن الاباء الاولين . ولوقا انتخبته الكنايس لمرافقة بولس في اتعابه وكان لا يكاد يفارقه حتى حُبِس اولاً في رومية وعند ذلك ختم خبره عن حيوة الرسول واتعابه

وما خلا هولاء الانجيليين الاربعة الذين كتبوا خبر معجزات يسوع المسيح على الخصوص لنا ايضًا على سبيل العرض شهادة الرسل الذين كتبوا الرسايل ولا سيما بولس . نعم ان بولس لم يكن من الاثني عشر رسولاً الذين صحبوا المسيح على الارض ولكنه صار رسولاً تحت ظروفٍ صيَّرت شهادتهُ ثابتة كشهادة غيره . فانه اخبرنا ان يسوع التقاهُ بالقرب من دمشق وظهر لهُ ضمن نورٍ ساطع وكلَّمهُ اذ كان يتهدد بالحنق والقتل على تلاميذ

المسيح . فمن تلك الساعة ترك جميع ما يُغري بهِ العالم شابًّا يهوديًّا اذ كان ذا فطنةٍ وعلمٍ وسيرةٍ غير معيبة في ديانته ونخمةٍ من روسآء طايفتهِ واكثر غيرةً من غيرهِ على خراب الديانة المسيحية فصار تابعًا المسيح غيورًا حتى انه لم يلحقهُ احدٌ في الغيرة والنجاح في تبشير الانجيل . فباي شيءٍ يُعلَّل عن صيرورتهِ مسيحيًّا حالًا لولم ينظر بالحقيقة يسوع الذي قام من الموت كما اخبر . فانه عوضًا عن انتظار النجاح العالمي الذي كان لهُ قبلًا صار مضطهَدًا ومرذولًا حيثما ذهب حتى ان ما ذكرهُ في احدى رسايلهِ مما احتملهُ من الشدايد كافٍ لترويع اشجع قلبٍ . ومع ذلك لم يندم مرةً على كونهِ صار مسيحيًّا بل ما زال مُوقِنًا كل قواهُ لاجل انتشار الانجيل مدة حيوتهِ . فهذا التغيير في من لهُ صفات بولس وانتظارهُ في الدنيا لايصح التعليل عنهُ على ظن نية الخداع فهذا ما يطلبهُ منا الكافرون اي شهادة عدوٍ لاشهادة عدوٍ لم يقتنع من دلايل ديانتنا بحيث تكون شهادتهُ مناقضة لنفسها ومحلًّا للاعتراض ولكن شهادة عدوٍ كان حارًّا غيورًا في مقاومة الديانة مدة طويلة ثم اقتنع من قوة ادلتها الى ان صار تلميذًا غيورًا وبقي كل حيوتهِ متمسكًا بصحة الانجيل اشد التمسك . نعم إنهُ لم يكتب انجيلًا لكنهُ شهد كثيرًا لصحة القضايا العظمى الواقع عليها بحثنا الان . وعلى الخصوص هو من افضل الشهود في امر قيامة المسيح لانهُ رآهُ وخاطبهُ بعد صعودهِ واخبرنا ببعض

ظروفٍ عظيمة جدًّا في ذلك لم يخبرنا بها احدٌ من الذين كتبوا الاناجيل . فانهُ يقول ان خمسماية انسانٍ معًا راوا المسيح بعد قيامته وقد كان اكثرهم احياءً عند ما كتب ذلك . فلو كان قولهُ هذا كذبًا لانكشف كذبهُ حالاً اذ لاريب في ان رسايلهُ كانت تُنسَخ وتُنشَر بين الكنايس حالما تُكتَب . فلو لم يكن هذا القول صحيحًا لكان كشف كذبهِ من اسهل الامور . ثم ان كل صحيفةٍ من كتابات بولس مبنية على قيامة المسيح وهو في جميع رسايلهِ يتخذ ذلك كامرٍ حقيقي يومن بهِ كل المسيحيين ومحركٍ لكل عمل وينبوعٍ لكل تعزية . حتى انه عند ما اراد مرةً اقناع الذين انكروا قيامة الجسد من الهراطقة اراهم ان قولهم محالٌ بهذه النتيجة اي بانه ان لم تقم الموتى فلم يقم المسيح ولو صحّت النتيجة لانقلبت الديانة المسيحية . ثم انهُ يفوّض المسئلة لاعتقاد المسيحيين العمومي ويقول ان لم يقم المسيح فباطلاً نبشركم وباطلٌ ايمانكم ايضًا بل نكون شهودًا كذابين لله لاننا قد شهدنا لله بانهُ قد اقام المسيح الذي لم يقم ان لم تقم الموتى . فهل يكتب عاقلٌ هكذا ان لم تكن قيامة المسيح من العقايد الاصلية بين المسيحيين او لم يكن هو موقنًا بصحتها . ولو كان بولس كذابًا هل كان يتجاسر ان يستشهد اكثر من خمسماية نفس اكثرهم احياءٌ بصحة ما علم انهُ كذب . فيا ايسر انكشاف هذه القضية لو كانت خديعةً

وهذا الامر نفسهُ ظاهرٌ من رسايل الرسل الاخرين ومن

جليان يوحنا

فعند ما نعرف صريحًا اعتقاد احدٍ من جهة امرٍ ما قلنا بالحقيقة شهادته في ذلك الامر لانه حينما يشهد شهادة صريحة لا يقدم الا ما اقتنعت بهِ افكاره. فلهذا ان امكنا معرفة ما آمن بهِ المسيحيون الاولون في امر قيامة المسيح وغيرها من المعجزات نحصل على جميع ما يمكنهم من الشهادة فيها. ولا يخفى ان ذلك امرٌ مهمٌ لسبب كثرة الشهود. لان لنا اقوى الادلة على ان المسيحيين منذ البدء قد امنوا جميعهم بما ذكر في الاناجيل ورسايل الرسل اذ صيرورتهم مسيحيين تبرهن ذلك على اجلى بيانٍ لانهم كيف يصيرون مسيحيين ان لم يومنوا بالديانة المسيحية. ما لم يعتقد احدٌ بان ليس الرسل فقط بل الذين اهتدوا عن ايديهم ايضًا كانوا خدَّاعين يخدعون الناس وهو محالٌ. وذلك مثبتٌ ايضًا بكيفية مخاطبة الرسل للمسيحيين في رسايلهم. لانه على افتراض ان كنيسة قرنثية مثلاً لم تعتقد بقيامة المسيح أما يحسبون بولس مجنونًا في ما كتبهُ لهم في رسالتهِ مبنيًا على اعتقادهم بذلك. ثم ان قبول جميع الكنايس المنتشرة في العالم للاناجيل والرسايل هو اقوى دليلٍ على ايمانهم بكل ما احتوت عليهِ وقد اتخذ جميع المسيحيين هذه الكتب قانونًا لايمانهم ومرشدًا لسلوكهم. ولذلك لا ريب اننا حاصلون على شهادة جميع الكنيسة الاولى لصحة وقوع المعجزات المذكورة في الاناجيل. فلو اتتنا

كتابةٌ فيها اعتقاد كل من تمسك بالمذهب المسيحي وشهادةٌ صريحةٌ للوقايع المبنية عليها الديانة المسيحية هل يعترض احدٌ بقلة الشهود. والحال ان لنا مثل هذه الشهادة تمامًا في قبول المسيحيين للانجيل عند ما انتشر بينهم. ولا نرى نقصًا في هذه عن تلك. واذ ذاك لايكون نقصٌ في عدد الشهود. ولو كتب كلٌ من الاثني عشر رسولاً ومائة ممن سواهم اناجيل لما ازددنا بذلك شيئًا في قوة الدليل لانهُ بعد كل ذلك لانحصل الاَّ على شهادة جميع الكنيسة الاولى وهي التي نحن حاصلون عليها كما قد ذكرنا

سادسًا عدم اتفاق الشهود في الامور الجزئية لايبطل تصديق الشهادة. لانهم يتفقون اتفاقًا تامًا في الشهادة للقضايا الكلية ولتعاليم المسيح وصفاتهِ. نعم ان كلاً من الانجيليين لايختار للذكر ما اختارهُ غيرهُ من القضايا وذات القضية الواحدة التي يذكرها اكثر من واحدٍ منهم يذكرها الواحد بالتفصيل والاخر بالاختصار. ولكن لاتناقض بينهم بل يوجد في تاليف الاناجيل واخبارها مطابقة حسنة والخالي من الغرض لايرى اختلافًا يوثر في تصديق الشهادة التي تحتوي عليها. ولو كتب كلٌ من اصحاب الاناجيل القضايا التي كتبها الاخرون بجميع ظروفها على نسق واحد لظهر عليهم اتفاق سابق في الكتابة وهو مما يضعف شهادتهم. والحال انه ظاهرٌ من الادلة الداخلية الباطنية ان الانجيليين لم يروا تاليف بعضهم قط قبل كتابتهم ما خلا يوحنا.

فيجب اذن ان يكون اتفاقهم كاتفاق شهودٍ مستقلين قد فُحِص كل واحدٍ بمفردهِ ويُعَدُّ اختلافهم في الجزئيات برهانًا على عدم اجتماعهم ومشاورتهم في ما كتبوهُ

نعم انهُ لايخفى ان من اقوى ما اعتُرِض بهِ على الديانة المسيحية هو وجود ما ظاهرهُ تناقضٌ في الاناجيل . ولكنه في هذه الرسالة لايسعنا الكلام في الطُرُق المتنوعة للموافقة بين الاناجيل وازالة الصعوبات الناتجة من اختلافاتها . فرأينا ان نكتفي بوضع بعض ضوابط عمومية لحل هذه المشاكل

فنقول انهُ يجب النظر الى ان الاناجيل كُتِبت منذ نحو الفي سنةٍ بلغةٍ لايتكلم الان بها احدٌ وبين اناس عوايدهم مختلفة عما هي عندنا الان . ولاجل قلة معرفتنا بهذه الظروف نرى صعوباتٍ ومشاكل لايسهل علينا حلها

وان الاناجيل ليست تواريخ وقايع مرتبةٍ على ترتيب زمان وقوعها . بل هي بعض قضايا عظمى قد انتُخِبت من عددٍ اكبر لم يُذكَر . فزمان هذه الوقايع ومكانها لايتعلقان بقصد اصحاب الاناجيل . ولهذا نجدهم تارةً ينظرون الى ترتيب الزمان وتارةً الى ما يتعلق بمعنى ما سبق من الكلام وتارةً الى ظروفٍ اخرى

وانه لاعبرة في تدوين معجزةٍ بذكر عدد الذين انتفعوا بها . لان المعجزة تبقى معجزة سواءٌ أُعطِي البصر لاعمى واحد او اكثر او أُخرِج الشيطان من واحدٍ او كثيرين . وان كان مورخٌ في

ذكرهِ اعجوبةً يختار ان يذكرها كما حدث في شخص واحد لسببٍ من الاسباب ومورخ اخر يذكر وقوع تلك المعجزة في شخصين فلا تناقض في ذلك البتة. نعم لو ادَّعوا بالاخبار عن عدد جميع الذين شفوا واختلفوا فيهِ لصحَّ الاعتراض. ولكن لم يكن ذلك غاية الانجيليين

وانهُ اذا كان انسانٌ يريد ان يُظهِر براعة كمَّالٍ مثلاً بانهُ ابرأ على طريقة غريبة من كان اعمى زمنًا طويلاً لا ينتج انهُ لم يشفِ احدًا غيره. واذا اخبرنا انسانٌ اخر بالتفصيل عن كل من ابرأهم هذا الكمال فلا تناقض بينهما. بل الفرق يكون ان الاول يختار واحدًا من كثيرين والاخر يذكر الجميع

واكثر ما ناتي منهُ المشاكل هو خلط الاشياء المتميزة. فان الاخبار التي بالحقيقة يمتاز كل واحدٍ منها بنفسهِ قد نتشابه حتى يحسبها بعض الناس خبرًا واحدًا. مثلاً اخبرنا واحدٌ من الانجيليين عن معجزتين بهما اطعم المسيح جمعًا غفيرًا تختلف الواحدة منهما عن الاخرى. فلو اخبرنا ذلك الانجيلي بواحدة فقط واخبرنا غيره بالاخرى لظنَّ كثيرون انهما معجزة واحدة وان اختلفت شهادتهما. ولكن الحال ان المخبر بهما واحدٌ والمسيح قد اشار في كلامهِ الى كلتيهما على انفراد فلا شك انهما معجزتان. واكثر ما يقع منه مزج الاشياء المتميزة يكون عند ما يصحب الامر ظروفٌ وحوادث كثيرة تلي بعضها ولا يذكر المخبر سوى البعض

منهـا. ويصح هذا القول خاصةً في قيامة المسيح لان اخبار الانجيليين في ذلك مختصرة. فلا يُذكَر فيهـا الا قليلٌ من الظروف الواقعة معها مع ان الحال يقتضي انهُ كانت حركة عظيمة جدًّا بين التلاميذ وجريٌ سريعٌ من مكانٍ الى اخر للاخبار بما حدث واجتيازٌ بالقبر لتحقيق القيامة. ومن ثمَّ لا عجب اذا تراءى كانهُ قد وجد اختلافٌ في اخبارهم. فانه ذكر كل واحدٍ جماعةً من النسآء مثلاً اللواتي اتين الى القبر فيبادر المعترض الى الظن بانهنَّ جماعةٌ واحدة ويفترض انهنَّ وصلن الى القبر دفعةً واحدة وبقينَ معًا. ولا يلاحظ الاضطراب الذي حصل من الاخبار بما حدث في ذلك الصباح. ولكننا في هذا الامر وفي امورٍ اخرى قد صرنا مديونين لاعداءِ الوحي الذين باعتراضاتهم اقاموا اناسًا علماء اوضحوا ما كان خفيًّا فلم يبقَ اثرٌ من الريب

ثم انه قد وجد بين ما ذكرهُ متى ولوقا من نسب يسوع المسيح اختلافٌ حسبهُ الكافرون المتاخرون تناقضًا. ولكن اعداءَ الديانة المسيحية القدماء لم يحسبوهُ كذلك وهذا ردٌّ كافٍ على هولاءِ المعترضين فلا حاجة الى بسط الكلام فيه. غير اننا نقول ان كان احد هذين النسبين نسب يوسف والاخر نسب مريم فلا خلاف بينهما. ونقول ايضًا ان معرفتنا بطريقة تاليف جداول النسب في تلك الايام قاصرة جدًّا فلا عجب في ظهور

مشاكل فيها. ثم يحتمل ان هذين النسبين نُقِلا عن جداول انساب السبط والعايلة اذ لابد من ان كان لكل عايلة وصولٌ الى مثل هذه الجداول لاجل معرفة حقوق الارث. ولما كانت هذه الجداول المشهورة مقبولةً عند الجميع وافقت غاية الانجيليين اكثر من جداول جديدة يكتبونها هم ولو كانت اكثر تدقيقًا وصحةً. فالحاصل ان غاية هذه الانساب انما كانت برهانًا على ان يسوع المسيح كان من نسل داود وابرهيم وتمّ ذلك بها. ولا توجد صعوبة لا نستطيع ان نعلل عنها بجهالتنا في هذا الشان

واخيرًا نقول اننا نسلم بانهُ ربما دخل على نسخ العهد الجديد بعض غلطاتٍ يسيرة من غفلة النساخ. لانهُ من المحال ان يكتب احدٌ كتابًا سالمًا من الغلط في الخط. فان وجد بعض اختلافات في الاناجيل من جهة الاسماء والعدد فذلك يُنسَب الى الناسخ سابقًا انهُ لا يمكننا ان نتصوَّر لشهود معجزات المسيح موجبًا لافشاء خديعةٍ. انه قد سبق الكلام بان كونهم لم يخدعوا انفسهم ظاهرٌ من ذات القضايا التي شهدوا بها ومن الفرصة التي كانت لهم لفحصها. فإنْ لم يكونوا خدَّاعين بكل تعمدٍ وقد توافقوا بخبثٍ على المكر بالناس فلا بد من وقوع المعجزات التي اخبروا بها. واما في كونهم خداعين فلا يمكننا ان نتصور كيف ان اناسًا ادنياء قاصرين في العلم يعتقدون انهُ يمكنهم ان يخدعوا العالم في امرٍ مثل هذا ولا الاسباب التي حركتهم لسلوك هذه الطريق. فانهُ

لابد انهُ كان لهم خيراتٌ عالمية يعتبرونها طبعًا فتركوا كل شيء من ذلك ودخلوا على طريقٍ ليس فيها خطرٌ فقط بل هلاكٌ اكيد لكل مصالحهم العالمية. وعرَّضوا انفسهم لغضب الرؤساء وهياج الجمهور وهم قد عرفوا لامحالة انهم بذلك يجلبون على انفسهم انتقام الرياسة المدنية والدينية وان جميع انواع الشدايد امامهم. فلما صُلِب سيدهم اتيُّ فائدةٍ ينتظرونها من الاخبار انهُ حيٌّ وقد صنع معجزاتٍ عظيمة. ولو ترجوا الخلاص من شرورٍ ظاهرة هكذا لاقنعهم حالاً الاخبار انهم قد تعاطوا امرًا ليس شريرًا فقط بل لافائدة لهُ. لانهُ لم يكن الا قليل من الزمان بعد ما ابتدأوا في شهادتهم حتى وجدوا انفسهم ملتزمين باحتمال الاضطهاد من اليهود والامم. فان كان ما حرَّكهم الى ذلك محبة الاشتهار فاي اشتهارٍ يحقُّ لهم ان ينتظروهُ من قولهم ان رجلاً مصلوبًا هو معلمهم واساس جميع رجآئهم وثقتهم. ان الامر قد كان بالعكس فانهم عوض الاشتهار صادفوا الخزي. لانه لم يوجد اسمٌ مكروهٌ ومستهزأٌ بهِ كالاسم المسيحي. فلُعِنوا كأدنى اشرارٍ وجدوا منذ بدء العالم وكنفاية الدنيا واقذارها وكمزعجي الناس ومبلبليهم وكاعداء الالهة. واقتُفِيَت آثارهم كالقوم المَردة وعوقبوا لاجل مجرَّد اقرارهم بانهم مسيحيون. فهل يدوم والحالة هذه قومٌ على اذاعة الخديعة لاجل اشتهارٍ مثل هذا. والقول بانهم انتظروا ثوابًا في الاخرة مردودٌ لافتراض خديعتهم تعمدًا. لانهم كانوا

يقولون كل يوم بكل رزانة ما يعلمون انهُ كاذبٌ. ولو صح هذا القول لصح ايضًا ان نقول ان القاتل او اللص يتحرك الى ارتكاب ذنوبه القبيحة من رجاء ثواب الاخرة

فلا يبقى لنا الاَّ ان نظنَّ انهم كانوا متوسوسين. لان المعهود ممن تسلطت عليه الوسوسة احتقار كل ما يُعتبَر عند الناس وكثيرًا ما يفعل افعالاً لا نعرف لها اصلاً. ولكن هذه المناضلة لا تصلح هنا لان اصحاب الوسوسة لابد ان يكونوا مصدقين غاية التصديق صحة الديانة التي يريدون انتشارها. واما اوليك فعلى الافتراض الواقع عليه البحث عرفوا ان ما اخبروا به كان كاذبًا. والوسوسة والخداع لا يجتمعان. نعم ان ما يبتديء بالوسوسة قد ينتهي احيانًا بالخداع. ولكن في الامر الذي نحن بصددهِ لابد من وجود الخداع في اول الامر كما في اخرهِ ولم يكن مكانٌ للوسوسة بل كان جميعهُ خداعًا ان لم تكن القضايا المخبر بها صحيحة. ولكن الدليل الاقوى على عدم كون الانجيليين اصحاب وسوسة يتخذ من كتاباتهم. فانها ابعد ما يكون من شبهة الوسوسة بل هي ابسط وارزن واخلى غرضًا من جميع ما قد كتب من الاخبار. فلم يحرك الكتبة جنونٌ ولم تلُح عليهم اشارات خيال مضطرب. ولكنهم كانوا يتكلمون ابدًا بكلام الحق والرصانة

ثامنًا لو اقنعنا انفسنا بان سببًا مجهولاً او شيئًا لا يخطر لنا

ببالٍ قد حرك الرسل الى اختراع خبر معجزات المسيح او ان جنونًا دخل عليهم وحركهم الى البقاء على اشاعة الكذب تحت كل مشقةٍ وشدة لما امكننا مع ذلك ان نصدق بانهُ يوجد من يتبعهم في البلاد نفسها والمدينة عينها التي زعموا ان المعجزات قد صُنِعَت فيها. لانه عند ما انتشرت اخبار هذه المعجزات العظيمة الكثيرة في اورشليم حيث شهد الرسل اولاً فلو كانت كاذبة أفلا يقول الناس ان هولاء الانفار يانوننا باخبار غريبة عن مسامعنا فيخبروننا باعاجيب وقعت بيننا ولم نسمع بها قبلاً ويطلبون منا ليس ان نصدق اخبارهم الكاذبة فقط بل ان نترك جميع ما لنا واصحابنا وديانة ابآينا التي اقتبلوها من الله وفضلاً عن ذلك ان نجلب على انفسنا انتقام المتسلطين علينا وبغضة جميع الناس لنا واستهزآءهم بنا. فهل يُصدَّق والحالة هذه ان عاقلاً واحدًا يقبل اخبارهم

وفضلاً عن ذلك كان كهنة اليهود واكابرهم الذين صلبوا المسيح يكرهون جدًّا اشاعة هذا الخبر لانهُ اوقعهم في ذنبٍ قبيح. فلو كانت شهادة هولاء الشهود كاذبة أفما كانوا يجدُّون كل الجد في اظهار كذبها أوما كانوا يحصلون على مطلوبهم بكل سهولةٍ. فانهم كثيرًا ما يذكرون الاماكن التي صُنِعت بها المعجزات وذكروا احيانًا اسماء الذين شُفوا من امراضهم او قاموا من الموت. فمسكن العازر الذي قام من الموت مثلاً لم يكن بعيدًا

من اورشليم الا نحو ميلين فقد كان بيان كذب قيامته من اسهل الامور لو لم تكن صحيحة. وكثيرٌ من المعجزات المنسوبة الى المسيح قد صنعها في اورشليم وفي الهيكل نفسهِ. وبما انهُ اصرف زمانًا كثيرًا في هذه المدينة يصح الظن انهُ لم يكن واحد من سكانها جاهلاً بالكلية بالقضايا التي من شانها ان تشغل قلوب الجمهور وتحركهم الى الالتفات اليها. فلا يخفى ان مثل هذا الكذب لا يمكن ان ينجح تحت مثل هذه الظروف. لان وجود جماعةٍ من الاعداء شداد الخصام يمنع حالاً كل سعي في خداعٍ شنيعٍ عادم الاصل مثل هذا. نعم لو ادَّعى الرسل بان انسانًا من زمانٍ قديم او في بلاد بعيدة صنع معجزاتٍ مثل هذه لامكن ان يقنع بذلك بعض الناس. ولكنهم استشهدوا الذين وعظوهم لصحة اخبارهم ولم يمضِ الا اسابيع قليلة لموت يسوع حتى شهدوا بهذه الشهادة جهرًا في اورشليم. ومقاومة الروساء لم تمنع كثيرين عن قبولها وتقديم انفسهم تلاميذ لذلك الذي صلبوه حديثًا

تاسعًا ان الامر الاخير الذي اريد ذكرهُ لاجل الوقوف على صحة شهادة الشهود لمعجزات الانجيل هو انهُ لا توجد شهادة مضادة لها اي ان هولاء الشهود لم يقاومهم ولم يناقضهم شاهدٌ اخر. فمهما استحقت اخبارهم من التصديق لاجل ظروف الحال ومهما كان عندنا من الادلة على صدقهم وحذاقتهم لا ينقص منها شيءٌ من جرى شهادة مضادة لها. نعم ان كهنة اليهود وروساءهم

اذاعوا عن جسد المسيح بعد موته خبرًا مضادًا لشهادة الرسل قد وصل الينا بواسطة الانجيليين وارشوا الجند ليخبروا ان تلاميذ المسيح جاءوا ليلاً وسرقوا الجسد وهم نيامٌ. ولكن كان ذلك محالاً ومخالفًا لنفسهِ حتى انهُ لا يحتاج الى ردٍّ البتة. مع انه من حيث ان الجسد لم يبقَ عندهم لربما لم يمكنهم اختراع خبرٍ اخر ظاهرهُ اكثر تصديقًا. وهذا الخبر نفسه لا يثبت الا ان الجسد اختفى والجند نيامٌ فلا برهان لهم على عدم قيامتهِ من الموت كما شهد الرسل

ان الكافرين يطلبون احيانًا شهادة اعداء الديانة المسيحية مع شهادة اصحابها. ولكن انتظارهم شهادةً من الاعداء بصحة ديانةٍ يقاومونها شيءٌ لا يوافق العقل. فيكون سكوتهم هو كل ما يُنتظَر منهم لانه اذ كانوا ينكرون هذه القضايا لو امكنهم يكون عدم انكارهم اياها هو اعظم البراهين التي يمكننا الحصول عليها. نعم انه سلبيٌّ ولكن لا يجب ان ننتظر دليلاً من اعداء الانجيل الا ما كان سلبيًّا او اتى على سبيل العَرَض. ما لم يقتنعوا من الادلَّة الموردة لهم مثل بولس الرسول. ولكن لم يبلغنا من احدٍ في ذلك العصر انكارٌ لحقيقة معجزات المسيح. وبحسب جميع ما عندنا من الاخبار لا دليل لنا على ان احدًا من اشدّ اعدائهِ انكرها. بل قال اليهود انهُ صنع اياتهِ بمساعدة بعلزبوب رئيس الشياطين. واول الذين كتبوا ضد الديانة المسيحية من الامم لم يتجاسروا على انكار

معجزات المسيح. فلم يدَّعِ سلسوس ولا برفوروس ولا هيروكليس ولا يوليانوس بان هذه الحوادث كانت كذبًا محضًا بل اجتهدوا في تعليل كيفية عملها لمخرجوها عن دائرة المعجزة. وعلماء اليهود في التلمود يعترفون بوقوع هذه المعجزات ولكن يعللون بانها تمت بواسطة السحر او بقدرة اسم الله الذي يدعون دعوى مضحكةً ان يسوع سرقهُ من الهيكل حيث كان محفوظًا

فالمأمول الان انهُ مما سبق قد ظهر ان لنا من الشهادة ما يجعل معجزات الانجيل محلاً للتصديق عند كل من كان خاليًا من هوى النفس. فاننا قد اوضحنا ان المعجزات المذكورة معجزاتٌ حقيقية. وانها صنعت جهرًا امام الجمهور. وانهُ لم يكن ممكنًا ان يُغَشَّ الشهود. وانهُ كان للاعداء كل فرصةٍ وكل موجبٍ لتكذيب هذه القضايا لو كانت كاذبة. وان لنا كل دليلٍ على خلوص اصحاب الاناجيل وامانتهم. وان رسايل الرسل برهانٌ ثابتٌ على سبيل العرض على صحة هذه المعجزات. وان جميع المسيحيين منذ البدء كانوا بالضرورة يومنون بها ولهذا يجب ان نعتبرهم كشهودٍ. وانهُ لم يمكن ان يكون للشهود موجبٌ للمكر. وانهُ لم يمكنهم النجاح البتة في تزويرٍ كاذب مثل هذا ودعوة للايمان بهِ. وانهُ كان من اسهل الامور لروساء اليهود ان يظهروا كذب مثل هذه الاخبار لو كانت كاذبة. وان بداية التبشير في اورشليم ونجاح الديانة المسيحية هناك برهانٌ قاطع على صحة

المعجزات . وان ذهاب الرسل الى البلاد والمدن المتنوّرة ونجاحهم فيها لايطابق مذهب من ذهب الى انهم كانوا خدّاعين جهلة . واخيرًا انهُ لاتوجد شهادة مضادة لهذه المعجزات بل قد التزم اعداء الديانة المسيحية الالون ان يقرّوا بوقوعها

فبعد اعتبار هذه الامور اعتبارًا كافيًا والنظر اليها كما يجب ألايكون وقوع هذه المعجزات اقرب الى العقل من كون مثل هذه الشهادات التي تطابقها الظروف والنتايج كاذبةً . وان كانت هذه الشهادات كاذبة أفلا يحق لنا ان نرفض كل شهادةٍ تاريخية مهما كانت اذ لم يُشهَد لقضيةٍ من القضايا التاريخية كما شُهِد لهذه . ولا موجب لرفض هذه الشهادة الاّ كونها معجزات وقد بيّنا ان انتظار معجزاتٍ في مثل هذا الامر يوافق العقل وانها محتملة البرهان الكافي من الشهادة . ولهذا تكون النتيجة

صادقة ان معجزات الانجيل

محلٌّ للتصديق

الفصل الثامن

في ان نجاح الانجيل واتساعهُ اولاً بوسايط قليلة وضعيفة برهانٌ على ان ذلك كان من العناية الالهية

ان نجاح الانجيل اولاً تحت ظروف الحال حينيئذٍ من اعجب الوقايع المذكورة في التواريخ وهو امرٌ لا ريب فيهِ. فلم يمضِ الا قليلٌ من الزمان حتى آمن الوفٌ بالديانة المسيحية في اورشليم واماكن اخرى في بلاد اليهودية. وفي بلاد الوثنيين كان نجاحهُ اكثر سرعةً واتساعًا. فلم يمضِ نصف جيل بعد قيامة المسيح حتى قامت كنايس في اعظم مدن الولاية الرومانية جميعها التي كانت اذ ذاك ممتدة في اكثر الاقطار المعروفة حينيئذٍ من الدنيا. ومع ان الاضطهاد كان ثابرًا على المسيحيين حتى قُتِل منهم الوفٌ على اشنع طريقةٍ كان الحال يزداد نجاحًا. فضَرب المثل ان دم الشهداء هو زرع الكنيسة. وما زال الامر ينمو ويتقدم حتى صارت الديانة المسيحية ديانة القياصرة واشراف ولابتهم وذلك في اقل من ثلثة اجيالٍ بعد قيامة المسيح

انهُ لامرٌ واضحٌ من التاريخ ان الديانة المسيحية غلبت واتسعت جدًّا في مدةٍ قصيرة بعد ما انتشرت اولاً. وشهادة هذه

القضية ليست ماخوذة عن كتب مورخين مسيحيين فقط بل يشهد بها ايضًا افضل المورخين الوثنيين. فقد شهد تاسيتوس وسويتونيوس وبلينيوس بان الديانة المسيحية كانت متسعة جدًا في ايامهم. وبما ان شهادة مثل هولاء الشهود الذين لم يومنوا بالديانة المسيحية بل كانوا يكرهونها هي ذات قيمةٍ عظيمة في اثبات هذه القضية راينا ان نضع هنا ترجمة ما كتبوه في اللغة اللاتينية. لانه ربما تعسر مراجعته من مكانه على من يقف على هذا الكتاب

اما تاسيتوس فكان في الجيل الاول من السنين المسيحية وقد اشتهر مورخًا صادقًا عند الجميع. فهذا بعد ان اخبر عن النار المهلكة التي اخربت رومية في ايام الملك نيرون قال ولكن لا بمساعدة البشر ولا بالهدايا الثمينة التي قصد بها الملك استرحام الآلهة استطاع ان يرفع عن نفسهِ تعيير جميع الناس لاجل امرهِ باحراق المدينة. فلاخفاء هذا الخبر اوقع التهمة والشكوى على اخرين كان الشعب يبغضونهم قبل ذلك لاجل ذنوبهم فعذبهم عذابًا اليمًا. وكان اسمهم عند العامة مسيحيين اسمٌ اخذوه من المسيح رئيسهم الذي قُتِل كمذنبٍ في ملك طيباريوس عندما كان بنطيوس بيلاطوس واليًا. وهذه الديانة المفسدة وان خمدت قليلاً قامت ايضًا وامتدت ليس فقط في اليهودية حيث ابتدأت بل وصلت الى هذه المدينة ايضًا التي ينصبُّ

اليها كل ما هو دني ونجس فيكون مقبولاً بها. فلم يُقبَض اولاً الاَّ على من اقرَّ بانهُ من اهل هذا المذهب. ثم قُبِض على كثيرين بموجب اقرار الذين حُكِم عليهم. وذلك ليس لاجل ذنب احراق المدينة فقط بل بالحري لاجل بغضتهم للجنس البشري. فالبسوهم جلود الوحوش الضارية واخرجوهم للفرجة ثم مزقتهم الكلاب او عُلِّقوا على الصلبان او أُشعِلوا ليلاً ليكونوا مصابيح في الظلمة

واما سويتونيوس فكان هو ايضًا في الجيل الاول ولكن طالت حيوتهُ الى ان دخل في الجيل الثاني. وهو مشهورٌ بانه مورّخ فطن محقق. فهذا قال ان اقلوديوس نفى من رومية اليهود الذين كانوا دايمًا يهيجون الشغب وكان المسيح رئيسهم. وفي ذكرهِ حيوة نيرون قال وكان المسيحيون يُعاقَبون وهم قومٌ ديانتهم جديدة سحرية

ولكن شهادة بلينيوس هي اقوى تقريرًا للقضية التي نريد اثباتها مما كتبهُ غيره من المورخين الرومانيين. وهي موجودة في رسالةٍ كتبها هذا الفيلسوف الشهير الى الامبراطور ترايانوس في اول الجيل الثاني اذ يقول السلام من بلينيوس الى الامبراطور ترايانوس الى اخرهِ. انه من عادتي يا سيدي ان ارفع كل امرٍ يشوبني منهُ ريبٌ اليك لان من يستطيع ان يهدني في حيرتي ويعلّمني في جهلي احسن منك. انني لم احضر قبلاً في

محاكمة المسيحيين ولهذا ارى نفسي جاهلاً بالموضوع المسؤول عنه ونوع العقاب الواجب اجراؤهُ وكم ينبغي ان يُدقَّق الفحص. وكنت ايضًا مرتابًا في انهُ هل يجب ان يُميَّز في السن بين الصغير الضعيف والكبير القوي. وهل تُقبَل التوبة ويُمَنُّ بالعفو او يجب عقاب من كانوا مرةً مسيحيين وان كانوا قد ارتدُّوا. وهل يجب العقاب لاجل الاسم مجرَّدًا من غير شكوى بذنبٍ او تجب معاقبة الذين كانوا بهذا الاسم لاجل ذنوبٍ كانت عليهم. ولكن الطريقة التي اتَّبعتها في الذين أُحضِروا اليَّ منهم انما هي اني سألتهم هل كانوا مسيحيين وعند اقرارهم بذلك سالتهم ثانيةً وثالثةً متهددًا اياهم بالقتل. واذ اصرُّوا على اقرارهم امرت باخراجهم للقتل. لانني مهما كانت حقيقة ذنبهم لم اشك في ان الاصرار والعناد بهذا المقدار يستحقان العقاب. والبعض ممن دخل هذا الجنون عليهم اذ كانوا مستوطني رومية افرزتهم للارسال الى تلك المدينة. وبما ان هذا الذنب انتشر في مدةٍ يسيرة كالعادة قد وقع تحت نظري دعاوٍ مختلفة. منها انهُ اتاني ذات مرةٍ صحيفةٌ لا يُعرَف كاتبها فيها اسماءٌ كثيرين مشكوٌّ عليهم بكونهم مسيحيين فانكروا ذلك حالاً وقبلاً. ولاجل اثبات صدقهم اتَّحدوا معي في الصلوة للالهة ولصورتك التي امرت ان يُؤتَى بها مع تماثيل الالهة لاجل هذه الغاية. وفضلاً عن ذلك قدموا قرابين الخمر والبخور ولعنوا اسم المسيح. والحال انهُ لا يمكن الزام الذين هم مسيحيون بالحقيقة ان

يصنعوا شيئاً من ذلك. ولهذا حكمت باطلاقهم. واخرون ممن سمّاهم المخبّر اقرّوا اولاً بكونهم مسيحيين ثم انكروا. ومنهم من قالوا انهم كانوا مسيحيين قبلاً ولكنهم ارتدّوا منذ اكثر من ثلث سنين والبعض منذ عشرين سنة. وهولاء جميعهم سجدوا لصورتك ولتماثيل الالهة ولعنوا المسيح. ولكنهم حقّقوا ان ذنبهم انما كان هو عادتهم ان يجتمعوا قبل النهار في يومٍ معلوم ليرتلوا جميعاً نشيدةً للمسيح كالاله ويعاهدوا انفسهم بقسمٍ عظيم ان لا يرتكبوا معصيةً بل بالعكس ان يمتنعوا عن السرقة والزنآء وايضاً ان لا يخالفوا وعدهم او ينكروا رهناً تسلّموهُ. وبعد ذلك كانوا ينصرفون ثم يجتمعون على طعامٍ بالهدوّ والوقار. ولكنهم كانوا قد تركوا ذلك منذ اشهار امري الذي بحسب رسمك منعت به هذه الاجتماعات. فعند ما سمعت بهذا الخبر رايت احتياجاً ان افحص بالعذاب امرأتين تسمّيان شماستين. ولكنني لم اجد الاّ خرافاتٍ زايدة فاسدة. ولذلك وقّفت المحاكمة طالبًا منك المشورة. لاني ارى ان الامر مستحقٌّ كل الاعتبار ولاسيما لاجل كثرة عدد الذين هم في خطرٍ من حيوتهم. اذ يُشكّى كثيرون من الناس من كل سنٍّ وحالةٍ من الرجال والنسآء وسيقع ايضاً كثيرون في هذه الحالة. لان هذه الخرافة لم تملأ المدن فقط بل القرى والكُوَر ايضاً. ومع ذلك يبان لي انه يمكن ان تُحجَز ويصلح الحال. لان الهياكل التي كان قريباً ان تُترَك يُتردّد الان اليها

ايضًا والاحتفالات المقدسة التي كانت قد انقطعت من زمانٍ رجع الان الناس اليها وذبايح للذبايح التي ما كاد احدٌ يشتريها من مئةٍ تباع الان بكل سهولةٍ. ومن ثمَّ يقرب الظنُّ بان جمعًا غفيرًا يرجعون لو بقي باب التوبة مفتوحًا

فاجابهُ الامبراطور بهذه الصورة السلام من ترايانوس الى بلينيوس. انك قد اتَّبعت الطريق الحسنى ايها العزيز في معاملتك للذين أُحضِروا اليك على انهم مسيحيون لانهُ من المحال ان نضع ضابطاً جامعًا يحتوي على كل قضيَّة. فلا يجب التفتيش عليهم ولكن اذا أُتِي بهم اليك وثبت عليهم انهم مسيحيون فلا بد من معاقبتهم. ولكن ان انكر احدٌ انهُ مسيحي واثبت قولهُ بعملهِ اي بعبادة الهتنا فيُعفَى عنهُ لتوبتهِ ولو وقعت عليهِ الشبهة بانهُ كان مسيحيًّا قبل ذلك. ولكن لا تُقبَل البتة رقعةٌ فيها شكوى على احدٍ ما لم يكن فيها اسم الشاكي. لانهُ يكون ذلك مثالاً اخطرًا وليس مناسبًا لهذا العصر. انتهى

ولو اردنا ايراد شهادة اخرين من الوثنيين لامكننا ذلك ولكننا تركناها للاختصار. فنكتفي بذكر شهادة ايريناوس وترتوليانوس من اباء المسيحيين اللذين كانا في نهاية الجيل الثاني وبداية الجيل الثالث وهي كافية لايضاح اتساع الديانة المسيحية حينئذٍ من دون شبهة

اما ايريناوس فانه اذ كان يكتب في مطابقة ايمان المسيحيين

قال لا الكنايس في جرمانيا ولا كنايس ابيريا او بريتانيا ولا كنايس المشرق او مصر او القيروان او الكنايس المنشاة في اوساط الارض يومنون او يعلّمون شيئاً اخر. انتهى

واما كلام ترتوليانوس فهو اكثر موافقةً لمقصودنا ولا نحتاج الى شي اخر لاجل ايضاح مقدار امتداد الديانة المسيحية في اقلّ من مايةِ سنة بعد موت اخر الرسل. وذلك حيث يقول هذا المعلم بمن قد امنت جميع القبايل الاّ بالمسيح الذي قد اتى، لانه بمن يومن جميع الطوايف الا طايفتكم ايها اليهود. الفرثيون والماديون والفرس واهل ما بين النهرين وارمينية وفروغيا وكبودوكيا وسكان بنطوس واسيا وبمفيليا ومصر وافريقية ورآء القيروان والرومانيون والغرباء واليهود في اورشليم والدخلاء حتى قبايل جتولي المختلفة وعشاير المغرب المتعددة وجميع اهالي سبانيا وقبايل شتّى من فرنسا واقاليم بريتانيا التي لم يمكن الرومانيين الدخول اليها ولكن المسيح قد اخضعها ومن السامريين والداشيين والنمساويين والشطيين وشعوب وبلدان وجزاير غير معروفة عندنا ولا يمكننا تعدادها. ففي جميع هذه الاماكن يملك الان اسم المسيح الذي اتى. لانهُ من يقدر ان يتسلط على جميع هولاء الا المسيح ابن الله

ولنا ايضاً شهادةٌ اخرى من هذا الاب في اعتذارهِ الذي هو كتاب شهير يحامي عن الديانة المسيحية كتبهُ قبل انتهاء

الجيل الثاني بقليل والظاهر انهُ خاطب بهِ والي افريقية وغيرهُ من حكام تلك النواحي وقد كان هو احد سكانها. ففي اعتذارهِ المذكور يقول لو كنا نحن المسجيون نريد ان نتجهز لمقاومة اضدادنا سرًّا وجهرًا لوُجِد منا عددٌ كافٍ لذلك. فان كثيرين من قبايل المغرب وداخل افريقية وغيرهم من القبايل البعيدة الى اقاصي الارض والمتفرقة في كل العالم هم معنا. نعم اننا نحن اولاد امس ولكننا قد ملأنا جميع اماكنكم مدنكم وجزايركم وحصونكم وقراكم ومحاكمكم وعساكركم وقبايلكم وسراياتكم ومشيختكم ودواوينكم ولم نترك لكم سوى هياكلكم. ولو نزحنا عنكم وانتقلنا الى بلاد اخرى لكان مجرَّد خسارة اناسٍ كثيرين بهذا المقدار يقلب دولتكم ويكون قصاصًا كافيًا لكم. كنتم بلا شك تخافون من وحدتكم وكان السكون والهدو الحاصلان من ذلك يجعلان البلاد التي تستولون عليها تتراءى للناظرين كانها ميتة ويكون عند ذلك عدد اعدايكم اكثر من عدد الباقين منكم. انتهى. ولا حاجة الى ايراد شهادات غير هذه لان الامر واضحٌ مسلَّم وفي مدةٍ يسيرة صار اكثر اهالي المملكة مسجيين علانيةً

ان العلماء من الكافرين قد اجتهدوا عبثًا ان يقدموا سببًا كافيًا لهذا الحادث العظيم مبنيًّا على مبادي طبيعية. فمن اشهرهم كبُن الذي بذل جهدهُ في تقديم اسباب لنمو الديانة

المسيحية ونجاحها. ولكن مع كونهِ قد سلك طريق الظن ولم يحتل بشهادة المسيحيين لم ينتفع شيئاً من اجتهادهِ. والاسباب التي قدمها لم تكن كافيةً بالكلية. فعلى مبادي الذين ينكرون الوحي يكون انتشار ديانة المسيح انما هو انقلاب عظيم من غير علل كافية. ونجاح اناسٍ سُذَّج اميين اكثرهم صيَّادو سمك لا قوة لهم ولا سلاح غير البراهين في تغيير ديانة العالم لا يزال الى الابد من دون علةٍ كافية لحدوثهِ ما لم نسلّم بصدق المعجزات والمساعدة الالهية

ويمكننا اعتبار قوة البرهان الناتج من سرعة انتشار الانجيل وامتدادهِ اذا تاملنا اولاً عدم كفاية الذين كانوا الوسايط لاجراء هذا العمل من دون مساعدة فايقة الطبيعة. لانه لم يكن فيهم علم ولا حكمة لكي يُصدروا في عقول الناس تاثيراً كافياً لاجل احداث مثل هذه الحركة. اذ من المعلوم انهُ لا يمكن لجماعةٍ قليلة من اليهود الاميّين ان يتعلموا لغات جميع القبايل الذين انتشر بينهم الانجيل في مثل هذا الزمان اليسير. فلا بد لهم من موهبة الالسن والاَّ لم يكن ممكناً حصولهم على هذه الغلبة. وفضلاً عن ذلك يجب النظر الى ان اليهود كانوا محتقرين من جميع القبايل المجاورة لهم. فلا يخفى ان اشخاصاً منهم قليلين وادنياء في الظاهر لم يمكنهم احداث شيء في المدن العظيمة سوى الهزء والاحتقار. وانهُ لاقرب الى العقل ان جماعة فقراء من اليهود

اصحاب الصنايع يردّون الان الى ديانتهم جماعاتٍ كثيرة في جميع المدن الشهيرة في اوروبا من ان يكون هولآء قد استطاعوا ترجيع كثيرين في ايامهم

ثانيًا ان الاماكن التي فيها بشِر اولاً بالانجيل وحصل على نجاحٍ عظيم تعطي برهانًا قاطعًا على ان امتدادهُ لم يكن بمجرد الوسايط البشرية. لان هذه الاماكن لم تكن منفردة ولا بعيدة عن نور العلم ولكن كانت من المدن العظمى في تهذيب اهلها وتمدنهم وكان فيها كل نوعٍ من علوم ذلك العصر واليها كانت تتقاطر العلمآء. فكانت دمشق وانطاكية وافسس وقرنثية وفيلبي ورومية هي الاماكن التي اشرقت فيها بشارة الانجيل اولاً. وعلى ما يُعرَف لم توجد مدينةٌ شهيرة في المملكة الرومانية الاَّ وقد أُسِّسَتْ فيها كنيسة مسيحية قبل موت الرسل. ولا يخفى ان هذا الامر لم يكن في جيل مظلم بل كان في جيلٍ يعترف الجميع بانهُ كان من اعلم الاجيال القديمة. وهو الجيل الذي كان بعد الجيل الاوغسطاني الذى اشتهر لدى الخاص والعام بالعلمآء الماهرين والادبآء البالغين. فلو كان الانجيل تزويرًا لما كنا نرى المبشرين بهِ يذهبون اولاً الى مثل هذه الاماكن. ولو ذهبوا لانكشف امرهم في الحال

ثالثًا كانت الموانع اللازمة الغلبة عليها عظيمة تفوق القدرة البشرية. فان جميع الناس كانوا متمسكين بخرافاتهم

المختلفة التي تربّوا فيها وهي كانت من شانها ان تتمسك بها العقول الفاسدة. فلا يخفى ان الحصول على الاستماع من الناس في هذه الحال امرٌ صعب كما هو واضحٌ من اخبار جميع المرسلين للتبشير بالانجيل عند من لايعتقد به في هذه الايام. وانه قد توافقت عليهم الفلاسفة والكهنة والرؤساء وكان يعترض في طريقهم كل ما امكن ان يقاومهم من العلم والفصاحة والتعصُّب وسلطان الحكم المدني والميل الى الخير العالمي

ولم يتوافق عليهم الكهنة والفلاسفة والحكام فقط بل كان غرض الجمهور في الديانة الفاسدة التي تربّوا فيها يلاقيهم غيرةً شديدة على مقاومة كل ما استُعمِل من الوسايط لردّهم من ضلالتهم. وفي كتاب اعمال الرسل قد ذُكِر كثيرٌ من الامثلة على ان غضب الشعب الشديد من اليهود والامم كان يحركهُ الى معاملة المبشرين بالانجيل حينيئذٍ بالظلم والقساوة. ففي احدى هذه الفتن مات استفانوس شهيدًا وفي فتنةٍ اخرى وقعت في الهيكل كاد بولس يُمزَّق من عنف الشعب. والجميع يعرفون اي فتنةٍ اهاجها ديمتريوس الصايغ في افسس. والظاهر انهُ لم يُذكَر في اعمال الرسل الا قليلٌ من الفتن التي فيها وقع المسيحيون في خطر الاغتصاب. لان بولس في رسالتهِ الثانية الى القرنثيين يقول ابتليت من اليهود بالجَلْد خمس مراتٍ وجُلِدت اربعين غير جلدةٍ وضُرِبت بالقضبان ثلث مراتٍ ورُجِمت مرةً واحدة.

ولا يبعد عن العقل ان جميع الرسل والمبشرين الاولين عوملوا بمثل هذه المعاملة . ولولم يصبّرهم الله ويساعدهم لما امكنهم احتمال هذه المشقّات العنيفة . ومن باب اولى لما امكنهم الاتيان بالوف وعشرات الوف لاخضاع انفسهم تحت نير المسيح وتعريض انفسهم للعار والاضطهاد اللذين كانوا في خطرٍ دائم منهما

رابعًا لم تكن شروط التلمذة التي قدمها الرسل والتعاليم التي علّموا بها مناسبةً لاغراء الناس وتمليقهم بل انها كانت منافيةً لعقولهم جدًّا . فلا يخفى ان المزوّرين عند ما يريدون اذاعة ديانةٍ جديدة يجتهدون في جعل تعاليمهم ورسومهم مناسبةً لمذاق الذين يقصدون تلذتهم . ولكن واضع الديانة المسيحية ورسلهُ لم يسلكوا مثل هذه الطريق المرضية للبشر . بل كان اول ما طلبوهُ ان ينكر الانسان نفسهُ ويحمل صليبهُ . وكانوا يامرون الذين يسمعونهم بالتوبة وترك الخطايا مهما كانت نافعة لهم او لذيذة او قديمة ومتملكة عليهم ويطلبون منهم طلبًا جازمًا ان يرضوا بترك جميع املاكهم العالمية واعزّ اقربائهم واصحابهم لاجل الانجيل . ولم يكتفوا بهذا فقط بل قالوا لهم صريحًا انهُ يجب عليهم ان يكونوا مستعدين لترك حيوتهم ايضًا عند ما لا يستطيعون حفظها بدون مخالفة المسيح . ولم يضعوا امامهم انتظار الراحة او الشرف في هذا العالم بل حققوا لهم ان الاضطهاد نصيبهم ما داموا احياءً وانهم يقعون في مضايق كثيرة وان ليس لهم جزاءً الاّ سلامة

المصير وفي الاخرة الحيوة الابدية . فهل يوجد مزوّرون جهلاء بهذا المقدار حتى يقدموا مثل هذه الشروط . وعلى افتراض كونهم كذلك هل يصدّق احدٌ انهم ينجحون في تحويل الناس الى اتّباع طريقهم . ولا حاجة الى برهانٍ اخر على ان الديانة المسيحية من الله غير التامل بشروط التلمذة وكثرة عدد التلاميذ من كل عمر وكل بلادٍ ورتبةٍ

وقد تمّ بالفعل ما قررهُ المسيح ورسلهُ للمومنين الاولين من انتظار الاضطهاد والموت ومع ذلك لم يتوقف نجاح الديانة المسيحية . فانه قد قُتِل كثيرون من المسيحيين ولكن لم تزل الديانة في النمو وامتدت في كل ناحيةٍ . وبما ان الديانة المسيحية نمت تحت الاضطهاد الدموي قد اتخذ كثيرون ذلك قاعدةً فقالوا ان الاضطهاد يُنمي كل دعوى . الا انهُ لا يمكننا ان نتصور امرًا ابعد عن مقتضى العقل والاختبار من هذه القاعدة . لانه في اكثر الاحوال يكون قتل روساء حزبٍ مهما كانت غيرتهم شديدةً سببًا لتناقص دعواهم ثم تلاشيها بالتمام . ولا يمكننا ان نقدم سببًا لنجاح الديانة المسيحية تحت عشر اضطهادات مخضبة بالدماء الا بان نقول ان الله بنعمتهِ اقنع الناس في اتباع الحق واعطاهم شجاعة فايقة طور البشر في احتمال الشدايد لاجل ديانتهم . نعم انه قيل جوابًا لهذا البرهان انهُ قد يحتمل الناس الموت لاجل ديانةٍ كاذبة كما يحتملونهُ لاجل ديانةٍ صحيحة وانهُ

لامرٌ واقعٌ ان اناسًا اقتبلوا الموت لاجل تعاليم متناقضة. فنقول ان ذلك صحيحٌ لكنهُ لا يتعرض لما نحن فيهِ الان. لان الموت لاجل المذهب انما يثبت بكل صراحةٍ صدق الشهود. وذلك في ما نحن فيهِ الان يثبت صحة القضية التي تتعلق بها المسئلة. لاننا قد رأينا ان كل شهيدٍ كان لهُ فرصةٌ لمعرفة صحة القضايا المؤسَّسة عليها الديانة المسيحية. فباحتمالهِ الموت شهادةً لها قد اعطى احسن الشهادات التي يمكننا ان نتصورها

ثم ان ما احتملهُ المسيحيون الاولون من العذاب لاجل ديانتهم كان شديدًا جدًّا ويشهد بهِ المورخون من الامم كما من المسيحيين. والذي يثبت برهاننا الى غاية ما يكون هو انهُ كان يمكنهم الخلاص حالًا من جميع عذاباتهم لو رفضوا الديانة المسيحية. ولم تكن عند مضطهديهم غاية سوى الجائهم الى ذلك. وكانوا يخيّرونهم دائمًا بين تقديم الذبيحة او البخور لالهتهم وبين احتمال العذاب. فقد كانت كلمة واحدة كافيةً لخلاصهم وعملٌ هينٌ كافيًا لرجوعهم الى خيرات العالم وشرفهِ. ولكنهم تمسكوا بما كانوا عليهِ اشدَّ التمسك. نعم ان بعضهم سقط من شدة قساوة المعذبين ولكن لم يُسمَع قط من احدهم انهُ كان بينهم شيءٌ من المكر والتزوير. بل كان الذين تنكسر شجاعتهم في ساعة العذاب لا يزالون متاسفين على ضعفهم كل ايام حيوتهم. والحاصل انهُ لم يُقتَل احدٌ لاجل الديانة المسيحية قهرًا بل كان كل شهيدٍ يبذل

نفسهُ باختيارهِ تمسكًا بالحق وحفظًا لسلامة الضمير

خامسًا يجب النظر الى مصايب المسيحيين الاولين من وجهٍ اخر وهو الحجايا التي ظهرت منهم حينما كانوا يحتملون كل نوع من العذاب. فان اناسًا من كل سنٍّ ورتبةٍ ذكورًا واناثًا قد اظهروا تحت العذاب الاليم المستطيل شجاعةً وصبرًا ووداعةً وروح محبةٍ وسماحٍ وبشاشةً وسرورًا عظيمًا لا نظير لهُ في تاريخ جميع العالم. فرحوا عند ما امسكهم الظالمون وتودَّعوا من اقرب الاهل واعزّهم بكل بشاشةٍ ودخلوا في النار بكل فرحٍ وترحَّبوا بالوحوش الضارية التي أُطلقت عليهم لتفترسهم وتبسموا لما رأوا تلك الآلات التي تمزقت بها لحومهم وتخلعت مفاصلهم وتكسرت عظامهم ولم يتذمَّروا ولم يظهر عليهم التألُّم حينما اشتعلوا بالنار وعند ما حُكِم عليهم بالموت طلبوا من اصحابهم ان لا يتعرضوا لسعادتهم اي الموت في سبيل الله ولو بالصلوات لاجل نجاتهم. فما هذه الشجاعة الفايقة القدرة البشرية. واي روحٍ اعان هذه الجماعة الحقيرة المضطهدة. وايّة مبادي طبيعية في تركيب الانسان تكون علةً كافيةً لهذه الغلبة على الالم والموت. هل يحركهم الغرام بمزورٍ الى مثل هذه الحاسيات. كلاَّ بل حضور يسوع الذي قام من الموت الموعود بهِ هو الذي ساعدهم وملأهم ثقةً وسرورًا. والفارا قليت الموعود به من ربهم هو الذي احيى في قلوبهم تلك البهجة التي كادت تجعلهم غير مشعرين بجروح والام اجسادهم.

نعم قد يحتمل العذاب ذوو الكبرياء والعناد لاجل ما يعلمون باطنًا انهُ كاذبٌ . واما جماعات شتى من كل رتبةٍ فمن المحال ان يحتملوا العذاب بالفرح لاجل ما يعلمون انهُ زورٌ . والحال ان نساءً مخدّرات وشيوخًا طاعنين في السن كانوا من اشجع الشهداء اذ كانوا لم يحبوا حياتهم حتى الموت وشهدوا وختموا شهادتهم بدمائهم . والان قد تسربلوا بثيابٍ بيضاء وهم يسبحون تسبحة موسى والخروف والنخل في ايديهم .

فطوباكم ايها الشهداء قد استرحتم
من اتعابكم واعمالكم
تتبعكم

الفصل التاسع

في ما تمّ من النبوات على شعب اليهود بنوعٍ عجيب

ان الكتاب المقدس يتضمن نبواتٍ بحوادث لا يمكن الحذاقة البشرية سبوق المعرفة بها وقد تمت هذه النبوات تمامًا كليًّا على نوعٍ عجيب. ولو لم نقصد ان نضع اقوالاً عمومية جامعة في ادلة الوحي لم نتعرض هنا لذكر النبوة اذ لا يمكننا القيام بحقها في مثل هذه الرسالة الوجيزة لكثرة اتساع هذا الموضوع وعظم صعوبة الكلام بالاختصار على ما يتضمنهُ من البرهان. وليس المراد بهذا الكلام ان دليل النبوة ادنى قوة من غيرهِ بل بخلاف ذلك لا ريب ان كل من ياخذ في البحث المدقق في ما نحن فيهِ يجد ان لا دليل لصحة الوحي يفوقهُ في شدة قوتهِ للاقناع. وللنبوة من حيث هي دليلٌ على الوحي الالهي بعض فوايد مختصة بها. لاننا نحتاج في البرهان من المعجزات الى شهادةٍ قديمة ولكن احيانًا يقع اشياء من النبوات تحت ملاحظتنا او تصل الينا بواسطة شهودٍ احياء. ولا يصير البرهان من المعجزات اوضح مما كان في وقت حدوثها ولكن البرهان من النبوات تتزايد قوتها دايمًا ولا يزال على ذلك الى ان تتم جميع النبوات. لان مجرّد

اذاعة النبوة ليس دليلاً على انها منهُ تعالى بل البرهان انما يقوم باتمامها . فبما انهُ قد تمت نبواتٌ في كل جيلٍ ومنها ما سوف يتم في ما بعد فالامر واضحٌ من نفسهِ ان هذا البرهان لا يزال متزايدًا في القوة

ثم يجب ان نلاحظ جيدًا ان كل نبوةٍ قد تمت هي بنفسها دليلٌ تام على الوحي الالهي . او بالحري هي نفسها وحيٌ . اذ من المعلوم انهُ لا يستطيع احدٌ الا الله ان يخبر عن الحوادث المستقبلة البعيدة وهي متوقفة بالكلية على قصده تعالى الذي يصنع الاشياء كلها بحسب رأي مشيئتهِ . ولهذا ان امكننا ان نأتي بنبوةٍ واحدة لا ريب في اتمامها نكون قد اثبتنا انزال الوحي . وان وقع ذلك مرةً وبشخصٍ واحدٍ فالاقرب للعقل ان هذا الانعام لا يختص بهِ وحدهُ

وما يقال كثيرًا ان اكثر النبوات غامضة ومعناها مشتبه لا يتعرض للدليل الناتج مما هو واضحٌ منها وقد تمَّ على التمام . ولا يخفى ان لاكتساء الكلام عن هذه الحوادث المزمعة بعض الاوقات بثوب الاستعارة والايماء اسبابًا عظيمة حتى انه على الارجح لم يفهم النبي نفسهُ معنى ما نطق بهِ من النبوة لانه لم يُقصَد انها تُفهَم على التمام حتى يأتي التفسير باتمامها . واذ ذاك تتزايد لذة درس النبوات يومًا فيومًا ويتزايد منه برهان صحة الكتب المقدسة

والمراد الان انما هو ذكر بعض نبوات مشهورة والاشارة الى الحوادث التي تمت بها مما يحتملهُ هذا المختصر. ومن اراد التوسع الى ما هو اطول فليراجع كتاب البينة الجلية وغيره. والنبوات التي اريد ذكرها الان هي اولاً ما تنبَّأَ بهِ موسى على اليهود واكثرها موجودٌ في الاصحاح السادس والعشرين من سفر الاحبار والاصحاح الثامن والعشرين من سفر تثنية الاشتراع

وذلك اولاً قولهُ سيأتي الرب عليك بشعبٍ من بعيدٍ من اقصى الارض بسرعةٍ كسرعة طيران النسر شعبٍ لسانهُ لاتفهمهُ. وقد تمت هذه النبوة باقتتاح الكلدانيين والرومانيين ارض اليهودية وعلى الخصوص افتتاح الرومانيين. لان ارميا في نبوتهِ على افتتاح الكلدانيين قد استعمل كلمات موسى بعينها الاَّ قليلاً حيث يقول هنذا اجلب عليكم شعبًا من بعيدٍ يا بيت اسرائيل وهو شعبٌ قديمٌ شعبٌ لاتعرف لغتهُ.[1] وقال ايضًا الذين طردونا كانوا اسرع من نسور السماء.[2] ومن الاولى ان يقال عن الرومانيين انهم شعبٌ من بعيد وان فتوحاتهم شبيهة بطيران النسور وقد كان على راية جيوشهم صورة نسر ولغتهم لا يعرفها اليهود

(١) ارميا ص٥ ع١٥ (٢) مراثي ص٤ ع١٩

ثم ان اعداء اليهود يُوسَمون في الكتاب المقدس بكونهم قومًا ذوي منظر هايل لا يعتبرون الشيوخ ولا يترفقون بالصغار.[1] وذلك يطابق صفة الكلدانيين مطابقة تامة اذ قيل في سفر الايام الثاني[2] ان الله اوقع اليهود في يد ملك الكلدانيين الذي قتل غلمانهم بالسيف في بيت مقدسهم ولم يترأف على غلام او عذراء او شيخ او من انحنى من الهرم. انتهى. ومثل ذلك كان الرومانيون اذ اخبرنا يوسيفوس انهُ لما جاء فسباسيانوس القيصر الروماني الى كدارا قتل الجميع انسانًا انسانًا ولم يشفق الرومانيون على احدٍ. ومثل ذلك فعلوا في كما لا

ثانيًا تُنبِّئ ايضًا ان مدنهم تُحاصَر وتوخذ. وعلى ذلك قولهُ وسيحاصرك في جميع ابوابك الى ان تقع اسوارك العالية المشيَّدة التي اتكلتِ عليها. وقد تمَّ ذلك عند ما جاء شلمانصر ملك الاثوريين على السامرة وحاصرها.[3] وعند ما جاء سنحاريب على جميع مدن يهوذا المسوَّرة. وعند ما فتح بختنصر اورشليم واحرق الهيكل وهدم ما احاط بها من الاسوار.[4] وطالما وثقت اليهود بحصون اورشليم وقد وصفها تاسيتوس ويوسيفوس بشدة

(١) تثنية الاشتراع ص٢٨ ع٤٩ (٢) ص٣٦ ع١٧ (٣) ملوك رابع ص١٨ ع٩ وع١٠ (٤) ملوك رابع ص٢٥ ع١

الحصانة. ولكنها حوصرت وفتحت مرات كثيرة قبلما اخربها تيطس اخيرًا

وتُنبِّئ ايضًا عليهم انهم في الحصارات يقعون في الجوع والضيقة الشديدة التي يضيّق بها عليهم اعداؤهم. فقد كان في السامرة مدة الحصار جوعٌ عظيم حتى بيع راس الحمار بثمانين درهمًا.(١) وعند ما حاصر بختنصر اورشليم كان جوعٌ في المدينة ولم يوجد خبزٌ لاهل الارض.(٢) وعند ما حاصرها ايضًا الرومانيون كان جوع شديد الى الغاية(٣)

وقيل ايضًا ان في هذه المجاعات تكون النساء ياكلن اولادهنّ. وعلى ذلك قول موسى ستاكلون لحوم بنيكم وبناتكم. وكذلك قول ارميا ستاكل ثمرة جسدك.(٤) وقول الاخر ايضًا والمراة الرقيقة اللطيفة بينكم التي لاتتجاسر على وضع رجلها على الارض رقةً ولطافةً ستاكل اولادها احتياجًا الى الاشياء كلها سرًّا في الحصار والضيقة التي سيضيق عليكِ اعداؤك بها في ابوابك. فقد تمت هذه النبوة الفايقة الطبع بعد ما نطق بها النبي بستماية سنة وذلك حين حاصر ملك سوريا السامرة بحيث اتفقت امرأتان على اكل اولادهما وعلى ذلك أُكمِل

(١) ملوك رابع ص٦ ع٢٥ (٢) ملوك رابع ص٢٥ ع٣ (٣) انظر يوسيفوس في حروب اليهود (٤) ص٢٨ ع٥٣

واحدٌ منهم.[1] وتمت ايضًا بعد موسى بتسعماية سنة حين حاصر الكلدانيون اورشليم كما اخبر ارميا في مراثيهِ قايلاً ايادي النسوة الرحيمات قد طبخت اولادهنَّ.[2] وتمت ايضًا بعد زمان موسى بالف وخمسماية سنة حين حاصر الرومانيون اورشليم اذ قد اخبرنا يوسيفوس عن امراة شريفة قتلت رضيعها واكلتهُ وبعد ما اكلت نصفهُ اذخرت الباقي لتاكلهُ في وقت اخر

ثالثًا تُنبِّئ ايضًا ان كثيرين من اليهود يُقتلون. وعلى ذلك قولهُ وتبقون قليلي العدد مع انكم كنتم كنجوم السماء في الكثرة. فقد حُسِب انهُ في حصار تيطس لاورشليم هلك احدى عشرة كرةً من الجوع والوبا والسيف. وربما لم يهلك منذ خليقة العالم في حصار واحد كما هلك في ذلك الحصار. وسبب وجود جمهور عظيم هكذا في اورشليم كان ان ابتداء الحصار وافق اجتماعهم للفصح وايضًا حينما جاء العسكر الروماني هرب القاطنون في ما حول اورشليم اليها

وتنبا ايضًا موسى ان اليهود يساقون ايضًا الى مصر ويباعون عبيدًا بثمنٍ بخس جدًّا ووصف كيفية جلبهم الى هناك بقولهِ وسياتي الرب بك الى مصر مرةً ثانية في السفن وهناك تباعون لاعدائكم عبيدًا واماء ولا يشتريكم احدٌ. وقد اخبرنا يوسيفوس

(١) ملوك رابع ص٦ ع٢٨ وع٢٩ (٢) ص٤ ع١٠

انهُ لما اخِذَت المدينة ارسلوا كل من كان فوق السبع عشرة سنة من الاسارى للعمل في مصر ولكن لقلة الالتفات اليهم هلك منهم احد عشر الفًا من الجوع . والارجح وان لم يذكر هذا المورخ كيف اجتلبوا ان ذلك كان في السفن لانه كانت للرومانيين يومئذٍ سفن كثيرة في هذا البحر. ولكثرتهم لم يوجد من يشتريهم فكانوا يباعون بابخس ثمن

رابعًا ان موسى تنبأ ايضًا في هذه النبوة العجيبة ان اليهود يستاصلون من بلادهم ويتشتتون بين جميع القبايل . وعلى ذلك قولهُ ستُقلَعون من الارض حيث انت ذاهبٌ لتملكها وسيفرقكم الرب بين كل الشعوب من اقصى الارض الى اقصاها. فما اعجب اتمام هذه النبوة اذ ساق ملك الاثوريين الاسباط العشرة من بلادهم اولًا ثم اجتلب السبطين الاخرين الى بابل واخيرًا لما اخرجهم الرومانيون من مكانهم وقبيلتهم كل تشتتهم

ثم منع الامبراطور ادريانوس اليهود من وضع ارجلهم في اورشليم والتقرُّب الى ما حولها من البلاد تحت عقاب لمن خالف امرهُ . وفي ايام ترتوليانوس كانوا ممنوعين عن الدخول الى اليهودية . ومن ذلك اليوم الى الان عدد اليهود في البلاد المقدسة قليلٌ جدًّا فلا يزالون منفيين من بلادهم متفرقين في كل بلدٍ على وجه الارض الا قليلاً

وتُنبّي ايضًا انهم ولو تفرقوا لا يهلكون هلاكًا تامًا بل يبقون شعبًا ممتازًا. وعلى ذلك قولهُ ومع ذلك حين يكونون في ارض اعدآيهم لا اتركهم ولا ابغضهم بحيث اهلكهم عن اخرهم وانقض عهدي معهم. فنقول مع الفاضل نوطون ما اعجب انه بعد حروب ووقايع ومحاصرات هذا مقدارها وعصيان وذبح واضطهاد مرات عديدة وسنين كثيرة في الاسر والعبودية والشقاوة لم يهلكوا عن اخرهم ومع انهم متفرقون بين كل الناس لا يزالون شعبًا ممتازًا بنفسهِ. فاين يوجد مثل ذلك في جميع التواريخ وفي جميع القبايل تحت الشمس

ومن هذه النبوة ايضًا انهم يكونون في سوء حالٍ حيثما كانوا وانهم لا يلبثون طويلاً في مكان واحد. وعلى ذلك قولهُ وبين هذه القبايل لا تجد راحةً ولا يستريح اخمص قدمك. فما احقَّ هذا القول في هولآء القوم تعيسين الى هذا اليوم. فلا توجد بلادٌ في اوروبا الاَّ ونُفُوا منها حينًا ما. فعدا ما حصل من اشنع القتل والنفي لكثيرين منهم في النمسا وفرنسا وسبانيا في الجيل الثالث عشر والرابع عشر قد اخبرنا المورخ الاسبانيولي عن نفي ثمان ماية الف يهودي من سبانيا بامر فرديناند وايسابلاً. ولا يمكننا ان نشرح ما قاسوهُ من هيجان الشرور والفتن حين كان يتوسع بهم الحكم

وقال النبي ايضًا انهم سيُظلَمون ويُداسون ابدًا ويُعطَى بنوهم

وبناتهم لشعبٍ اخر ويجنُّون من مرأى اعينهم الذي يرونهُ. وهكذا في جميع البلاد التي سكنها اليهود قد جُرِموا كثيرًا وسُلِبوا وظُلِموا جورًا. وعلى الخصوص في سبانيا وبرتوكال أُخِذَت اولادهم بامر الحاكم ليتعلموا الديانة البابوية. ولا يمكننا استيفاء ذكر المظالم التي اوقعتهم في الجنون واليأس لانها كثيرةٌ لا تحصى

خامسًا واخيرًا تنبَّأ موسى انهم يصيرون حيرةً ومثلاً وهزءًا بين الشعوب كلها وان ضرباتهم تكون عجيبةً ضرباتٍ عظيمة وطويلة البقاء. وهكذا هم في كل بلادٍ مبغوضون ومهانون. وقد تمت النبوة عليهم حرفيًّا بانهم مثلٌ وهزءٌ لان المسلمين والوثنيين والنصارى مع اختلافهم في بقية الاشياء قد اتفقوا على ذم اليهود وشتمهم واضطهادهم. فبالحقيقة ان احكام الله على هذا الشعب عجيبة طويلة المدد وقد صار لهم اكثر من الف وثمانماية سنة في هذه الحال التعيسة من النفي والتشتُّت والاضطهاد

ونبوة اشعيا ايضًا في رجوع اليهود الى بلادهم بعد استيسارهم بسبعين سنةً عجيبةٌ جدًّا اذ قد سُمِّي فيها قورش ليس فقط على انه يفتح بابل بل ايضًا يُرجِّع اسرائيل ويبني اورشليم ثانيةً. وعلى ذلك قولهُ لقورش انهُ راعيَّ ويصنع ارادتي قايلاً لاورشليم تُبنَى ولهيكلها يُؤسَّس.[1] واخبرنا يوسيفوس انهُ لما افتتح قورش بابل ذُكِرَت لهُ هذه النبوة عنهُ

(١) ص٤٤ ع٢٨

فامتلأ عجبًا من صراحة كون هذه الكتابة الهيّة . وذلك ربما كان سببًا لرأفة هذا الملك على بني اسرائيل والرخصة التي مكّنهم منها في الرجوع الى بلادهم والمساهلة معهم في تجديد الهيكل . وانهُ لمحقّقٌ مما قيل في سفر عزرا ان قورش عرف بواسطةٍ ما ان الله اقامهُ لبناء الهيكل ثانيةً بحيث كُتِب فيهِ ان الرب حرّك روح قورش ملك الفرس فاشهر امرًا في جميع مملكتهِ قايلاً هكذا يقول قورش ملك فارس ان الرب اله السماء قد اعطاني جميع ممالك الارض وامرني ان ابني بيتًا في اورشليم التي في اليهودية . فاعطى حينئذٍ شعب الله حرية وعناية للشروع بهذا الامر الصالح ولجمع الدراهم عونًا من كل من اراد ان يقدم المساعدة . ومن حيث ان آنية الهيكل المقدسة كان قد اتى بها بختنصر الى بابل فاخرجها قورش وسلمها الى امينٍ لتُحمَل من بابل الى اورشليم

فيقول الفاضل المذكور آنفًا اي قبيلةٍ بقيت شعبًا ممتازًا في بلادها مثلما بقي هولاء في تشتتهم في جميع البلاد . وما اوضح هذه المعجزة الظاهرة لنظر جميع العالم وملاحظتهم . فهذه نبوات قد تُنبِّئ بها من اكثر من ثلثة الاف سنة ومع ذلك نراها تتم في هذا الزمان . فاي برهانٍ نريدهُ اثبت من هذا لرسولية موسى من ربهِ . انني لا اعلم كيف تاثير هذه النبوات في غيري ولكن من جهة نفسي فاعترف بانها ليست تقنعني فقط بل تملأني حيرةً ودهشةً الى غاية ما يكون

الفصل العاشر

في نبوات تتعلق بنينوى وبابل وصور وغيرها

قيل ان اسوار نينوى التي كانت قصبة اثور كان ارتفاعها ماية قدمٍ ومحيط دايرتها ستين ميلاً وحولها الف وخمسماية برج ارتفاع الواحد منها مايتا قدم. واخبرنا المورخ ديودورس سيكلوس ان ملك اثور بعد انكسار عسكرهِ الانكسار التام وثق بنبوةٍ قديمةٍ ان نينوى لا توخذ ما لم يصر النهر عدوًّا للمدينة. وانه بعد ما حوصرت المدينة سنتين بغير فايدة فاض النهر من المطر الكثير الطويل فملأ جزًا من المدينة واخرب من السور مسافة عشرين فرسخًا. وان الملك اذ ظن ان النبوة قد تمت قطع الرجآء من سلامتهِ واقام نلًّا عظيمةً من الحطب ووضع عليها كل اموالهِ واحترق هو واهل بيتهِ وقصرهُ معها. ولا يخفى ان كتاب ناحوم انما هو نبوةٌ على خراب نينوى. فما اوفق هذا الخبر لما قالهُ فيهِ انهُ ستُفتَح ابواب النهر وينحلُّ القصر وتصير نينوى القديمة كغدير مآء وبطوفانٍ سايل تجعل اخرة مكانها. وما بقي من نبوة هذا النبي عليها قد وصف المورخ اتمامها ايضًا حرفيًّا. لانهُ يقول اذ كان ملك اثور مفتخرًا بغلباتهِ السابقة

وجاهلاً بعصيان البكترانيين القى نفسهُ في كسلٍ ذميم وعيَّن يومًا للطرب وأكثر من الخمر لعساكرهِ . فلما اخبر بعض الهاربين امير جيش العدو بغفلتهم وسكرهم هجم على عسكر الاثوريين وهم سكارى فقتل كثيرين منهم وطرد الباقين الى المدينة . فتمَّ بذلك كلام النبي القايل كمثلما يتخاصن الشوك بعضٌ مع بعضٍ كذلك وليمة اوليك الذين يشربون معًا . يفنون كالقش اليابس . ثم وعد النبي الاعداء باغتنام كثيرٍ من النهب بقولهِ انهبوا الفضة انهبوا الذهب لان لا نهاية لخزانة ومجد كل اثاثٍ مليح . وفي ذلك يقول المورخ ان كثيرًا من الذهب والفضة تخلَّص من النار وحُمِل الى اكباتانا التي هي همذان . وايضًا يقول النبي ان المدينة لا تخرب من طوفانٍ عظيم فقط بل تاكلها النار ايضًا . وذلك يطابق اخبار المورخ بالتمام

وقد تُنبِّئ ايضًا بان خراب المدينة يكون تامًّا دايمًا . وعلى ذلك قولهُ ويجعل الرب اخرة مكانها ولا تقوم الضيقة ثانيةً فانها خاوية خالية مقفرة ويمد الرب يدهُ على الشمال فيهلك اثور ويجعل نينوى خرابًا ويابسة كالبرية . كيف صارت قفرًا مكانًا لمربض الوحوش . وقد شهد لوكيانوس الذي وُلِدَ على شواطي الفرات في الجيل الثاني للتاريخ المسيحي بان نينوى قد خربت بالتمام حتى لم يبقَ منها اثر ولا يعرف احدٌ مكانها . وشهد ايضًا احد المسافرين المتاخرين الذي زار تلك البلاد بانهُ لا يُرَى

الان لبن او حجارة او شيء اخر يُبنَى منهُ. ولكن الارض قد اكتست عشبًا. وفي اماكن كثيرة توجد تلال كالتي كانت عساكر الرومانيين القديمة تبنى عليها المتاريس وكثيرٌ من الخرايب التي قد دثرت رسومها ممتدٌّ نحو عشرة اميال ومتسع جدًّا. فيبان ان نينوى قد تركت بلا علامةٍ لصولتها السابقة ولا اشارةٍ الى بهآيها وغنآيها وانها حقًّا قد صارت خربةً خاوية خالية مقفرة. فنقول مع الفاضل نوطون هذا ما وقع عليها من الخراب التام وهذا ما صحَّ فيها من النبوات الالهية

كذلك ما جآء من النبوة على افتتاح بابل وخرابها التام وعلى استيلآء الدثار على مكانها قد تمَّ كل التمام. ولكن لا يسعنا الكلام في هذا المختصر الاَّ على بعضٍ من امورٍ كثيرة واذا اراد الطالب استيفآء ذلك بالتدقيق فعليهِ بمراجعة المطولات

ان ارميا النبي قد عيَّن القبايل باسمآيها التي كانت بابل مزمعة ان تقع في ايديهم ليهلكوها. وعلى ذلك قولهُ اصعد يا عيلام [وهو الاسم القديم لبلاد فارس] وحاصر يا مادى. قد حرك الرب ملوك مادى لان مشيتهُ في بابل ان يهلكها[1]

واشعيا يقول سقطت سقطت بابل وجميع منحوتات الهتها كسرها والقاها على الارض[2] وقال ايضًا هكذا يقول الرب الذي يقول للبحر جُفَّ وانا اجفف انهارك الذي يقول في قورش

(١) ارميا ص ٥٠ (٢) اشعيا ص ٢١ ع ٩

هو راعيَّ ويصنع ارادتي وانا احلُّ صلب الملوك لتُفتَح امامهُ الابواب ذوات المصراعين ولا تُغلَق الابواب وهكذا يقول الرب لقورش مسيحهِ لاخضاع البابل امامهُ.[1] ولا ريب ان اشعيا تنبَّأ بالنبوة التي ذكر فيها اسم قورش على الاقلّ بمائتي سنة قبل ان يولد ذلك الملك لما كان اهل بلاد فارس شعبًا ضعيفًا غير مشهور. فلما كان قورش قد صار امير جيوش الفرس وعلمهم الصناعة الحربية وملاهم شجاعةً ذهب الى عمهِ كياكسار الذي يسميهِ دانيال داريوس المادي فاتحدت عساكرهما وضربوا اولًا الارمن واهل هركانيا ولوديا وكبدوكيا وغيرهم من حلفاء ملك بابل. ثم بعد ان عاملوهم بالرحمة وطيبوا قلوبهم حتى انهم اتحدوا بعساكرهم ارتحلوا طالبين مدينة بابل. فمع ان قورش كان قد شرع في غزوتهِ بعسكرٍ قليل صار عسكرهُ بحكمة تدبيرهِ كثيرًا جدًّا قبل وصوله الى تلك المدينة الشهيرة. ولكن ماذا تستطيعهُ الشجاعة او الصناعة الحربية على مدينةٍ هكذا حصينة من كل جانب. فحالما وصل هذا القايد الماهر الى المكان مع عساكرهِ طاف حول السور مع افضل روسآئهِ ليرى هل يوجد جانبٌ ضعيفٌ يمكن الهجوم عليهِ. فوجدها جميعها محصَّنة ولا يمكن اخذها الا بحصارٍ طويلٍ. فنزل امامها وحفر خندقًا حول السور وبنى ابراجًا واستحضر ما امكنهُ من اهبة المحاصرة. وبذلك

(١) اشعيا ص٤٤ ع٢٧ وع٢٨ وص٤٥ ع١

ثم قول النبوة نزلوا عليها واحاطوها. تجهزوا على بابل واحاطوا بها. تجهزوا على بابل. كل انسانٍ تجهز

ومما ذُكِر ايضًا في النبوة واضحًا جبانةُ اهل بابل. فقد كانت قبل ذلك عساكرهم رعبةً لجميع الارض ولم يقدر احدٌ ان يقاوم سطوتهم الهايلة. واما حينيئذٍ فوقعت عليهم الجبانة. وعلى ذلك قول النبي قد امتنع جبابرة بابل من الحرب فبقوا في مناريسهم. قد سقطت قوتهم وصاروا كالنساء.[1] وكان خوفهم ظاهرًا من اغلاقهم ابواب المدينة عليهم بحيث لم يستطع اعداؤهم ان يستخرجوهم للبراز في ميدان الحرب. لان زنفون يخبرنا بان قورش دعا ملك بابل الى القتال معه بمفرده فابى. وان القوم الذين داخل السور مع انهم كانوا كثيرين لم يخرجوا من ابوابهم ولم يجتهدوا في هزم محاصريهم او في اذاهم. فتمّ بذلك قول النبي بقوا في حصونهم وضعفت ايدي ملك بابل

قد تقدم ان قورش وجد كل جانب من المدينة محصّنًا بحيث لا يمكنهُ الهجوم عليها. لانهُ ماذا يصنع المنجنيق او غيرهُ من الالات الحربية في سورٍ عرضهُ ثلثون قدمًا او خمسون على قول البعض. فارتبك في امرهِ مدةً الى ان خطر ببالهِ انهُ ربما يمكنهُ الدخول الى المدينة بتحويل نهر الفرات الذي كان يجري في وسط المدينة عن مجراهُ. فاعتمد على هذا العمل الخطير

(١) ارميا ص٥١ ع٣٠

كالوسيلة الوحيدة وشرع فيهِ ولكنهُ كتم الغاية في ذلك عن المحاصرين في المدينة . لانهُ كما يقول هيرودوتوس لو لاحت لهم الحيلة او لحظوا على دخول الفرس لقدروا ليس على تبطيلهم عن العمل فقط بل على اهلاك جميع عساكر قورش ايضاً وهم في مجرى النهر . لانهم لم يحتاجوا سوى غلق الابواب التي كانت تُفتح الى المدينة من جهة النهر الذي جرى بين سدَّين في وسطها وقسمها الى قسمين . فخوفاً من اشتهار هذا العمل اختار قورش فرصةً لهُ في وقت طربٍ عظيم عند اهل بابل لعلمهِ انهم في ذلك الوقت يتمرغون في السكر والملاهي . وكان عرض النهر ربع ميل وعمقهُ اثنتي عشرة قدماً ولكن كانت بحرة مصطنعة بالقرب منهُ لقبول ما يطفح من مآيهِ عند فيضهِ . فوسَّع قورش مجرى تلك البحرة . والخندق الذي حفرتهُ رجالهُ حول السور كان ايضاً متصلاً بالنهر فوق المدينة وكافياً ليسع كثيراً من ماء النهر . وفضلاً عن ذلك كان ما احاط بالنهر من الارض غابراً منبسطاً بحيث اذا تحوَّل ماء النهر عن مجراهُ اندفق من كل جانبٍ . فنالوا بهذه الحيلة مقصودهم على التمام حتى ان مجرى النهر صار يابساً الا قليلاً ودخلت عساكر قورش الى المدينة ليلاً . بعضها من عند مدخل النهر الى المدينة والبعض من عند مخرجهِ منها . وعلى ذلك دخل عسكر قورش بالهدو والسكينة اذ كان اهل المدينة سكارى في طربهم حتى انهُ لم ينتبه احدٌ منهم على دخول

الاعداء ولا غلقوا ابواب النهر حذرًا من البلية. بل اذ كانوا على هذه الحالة وصل قورش الى قصر الملك قبل ان ياتيه رسولٌ يخبرهُ بان الاعداء قد دخلوا المدينة. ولم يتميز حينيذٍ صوت الاعداء عن صوت زمرة السكارى. واذ انتهوا الى ابواب القصر وجدوا الحرّاس سكارى فقتلوهم. فدخل الفرس الى ذلك الايوان المزيَّن حيث كان بلشاصر ونسآؤهُ وسراريهِ وروسآؤه الالف يشربون من آنية بيت الرب المقدسة التي اخرجوها للاستعمال النجس في هذا الوقت. ولكن دخول الفرس لم يكن اول ما تعرَّض لتنغيص طربهم السفيه. لان يدًا ظهرت قبل ذلك وكتبت على الحايط بعض كلماتٍ احرفها غريبة فوقعت الحيرة والرعبة في قلوب الذين كانوا جالسين. ولم يقدر احدٌ على قرآتها حتى احضروا دانيال فقراها حالاً واعلن للملك هلاكهُ وخراب المملكة. وفي تلك الليلة قُتِل بلشاصر ملك الكلدانيين.

وتمام مطابقة النبوات للحوادث التي ذكرناها يُعرَف مما سنذكرهُ من اقوال الانبيآء وهو قول ارميا انا اجفّف بحرك وايبس ينابيعك.[1] وقول اشعيا القايل للبحر جُفَّ وانا اجفف انهارك[2]

وقول ارميا وركض حارسٌ يلاقي اخر ورسولٌ يلاقي رسولاً ليخبّروا ملك بابل ان مدينتهُ قد أُخِذت عن اخرها وان المعابر

(١) ص٥١ ع٣٦ (٢) ص٤٤ ع٢٧

قد اغلقت[١]

وقولهُ ولكن الحيلة وضعت لبابل . أُخِذَت ولم تعرف كيف تفاجأت مدحة جميع الارض[٢] وقول اشعيا لانك اتكلتِ على خبثك وحكمتك فمعرفتك تعوّجك . ولذلك ياتي الشر عليكِ وانتِ لاتعلمين من اين خرج . ويأتي عليك الشر ولا تستطيعين ان تدفعيهِ عنك ولا يخلصك احدٌ[٣]

وقول ارميا واجعل اعيادهم في وهلتهم واجعلهم سكارى ليفرحوا وينامون نومًا دايمًا ولا يستيقظون يقول الرب . واجعل امرأتها وحكماءها ورؤساءها وولاتها وجبابرتها سكارى وينامون نومًا دايمًا[٤]

وقول اشعيا وانحلّ صلب الملوك لتفتح امام قورش الابواب ذوات المصراعين . والابواب لاتُغلَق[٥] هذا ما نُقِل عن النبوات

ولما سمع الملك ضجّةً وهياجًا خارجًا ارسل رسلاً ليقف على سبب ذلك . ولكن لم تفتح ابواب القصر الا والفرس دخلوا اليهِ . فتمّ بذلك قول النبي سمع ملك بابل خبرهم فاخذتهُ الرعبة[٦] وهلك الملك وجماعتهُ فتمّ قول النبي عيّن زمان مملكتهِ واكملها قسمها واعطاها للماديين والفرس[٧]

(١) ص١ ع٢١ (٢) ص٢ ع٢٤ وص١ ع٤١ (٣) ص٤٧ ع١ وص١١ وع١٥ (٤) ص١ ع٢٦ (٥) اشعيا ص٤٥ ع١ (٦) ارميا ص٥٠ ع٤٣ (٧) دانيال ص٥ ع٢٦ وع٢٨

وقد تُنبِّي ايضًا على كثرة العساكر الذين دخلوا حينئذ وقتلِ اهل المدينة في الاسواق بقولهِ واملأُكِ يا لرجال كالدود. ستنع شبانها في الاسواق ويقتل جميع ابطالها في ذلك اليوم.[1] وعلى قول هيرودوتوس المؤرخ كان عسكر الفرس بعد ما أُخِذَت المدينة مايةٍ وعشرين الف فارس وستة الاف مركبة حربية وستماية الف راجل. ونادى قورش بامرهِ ان يبقى الناس في بيوتهم والاَّ فيُقتَل كل من وجد في الاسواق

فوقعت بذلك جميع خزاين بابل المكنونة في يد قورش. وعلى ذلك قول النبي أُعطِيَت ليدهِ خزاين الخفاء والاموال المخبأة ليعلم ان الرب الذي دعاهُ باسمهِ هو اله اسرائيل[2]

ومن حين افتتح قورش هذه المدينة الشهيرة اخذ مجدها في الزوال. كما سبق الله واخبر بسقوطها وكلمتهُ لاتخيب. وذلك بانها بعد افتتاحها الاول سقطت عن كونها ملوكية الى ان صارت تحت الجزية على ما اخبرنا به هيرودوتوس. والظاهر ان النبي يشير الى ذلك بقولهِ انزلي واجلسي في التراب يا عذراء يا ابنة بابل. اجلسي على الارض. ليس كرسيٌّ يا ابنة الكلدانيين[3]

ثم الدرجة الثانية في سقوط هذه المدينة الشهيرة كانت بعد عصيانها على داريوس. فانهُ بعد ما اخذها امر بتقصير علوّ

(١) ارميا ص٥١ ع١٤ وص٥٠ ع٣٢ (٢) اشعيا ص٤٥ ع٣ (٣) اشعيا ص٤٧ ع١

الاسوار وخراب جميع ابوابها. والى ذلك يشير النبي صريحًا بقولهِ سيقع سور بابل ستهدم اسوارها[1]

ثم عند رجوع زركسيس من غزوهِ بلاد اليونان دخل الى بابل ونهب خزائنها الثمينة المقدسة المحفوظة في هيكل بعل اله المدينة. وذلك ما تنبأ بهِ ارميا بقولهِ سأُعاقِب بعل في بابل وأُخرِج مِن فيهِ ما قد ابتلعهُ. واقضي حكمي على مخوتات بابل[2]

وكل اتعاب الذين وقعت بابل في ايديهم لاجل اعادتها الى مجدها او حفظها من الدثار لم تنجح اصلاً. فان قورش جعلها مسكنهُ غالبًا ولكن خلفاؤهُ اختاروا غيرها. والاسكندر لما فتحها كان راغبًا في اعادتها الى مجدها الاول ولكن مشيئة الله كانت بعكس ذلك. ونبيهُ كان قد قال قبل ذلك بزمنٍ طويل ان كل جدٍّ وجهدٍ في ذلك لا يجدي نفعًا. وذلك قولهُ خذوا بلسمًا لشفاء بابل ان كانت تُشفَى. كنَّا نريد شفاءَ بابل ولكنها لا تُشفَى.[3] واما سبب سقوط بابل وخرابها المستديم فكان اولاً ان تحويل النهر عن مجراهُ ملأَ الارض المجاورة لها غدرانًا مملوة ماءً منتنًا. ثانيًا ان بناء مدينة اخرى بالقرب منها اجتذب كثيرين من اهل المدينة القديمة الى هذه المدينة الجديدة. وتضايقت بابل ايضًا من ولاةٍ كانوا من اظلم اهل الدنيا. فان واحدًا منهم اسمهُ

(١) ارميا ص٥٠ ع١٥ وص٥١ ع٥٨ (٢) ص٥١ ع٤٤ وع٤٧ (٣) ارميا ص٥١ ع٨ وع٩

هومروس وكان قبل المسيح بماية وثلثين سنة استعبد كثيرين من اهل المدينة لاصغر الحجج واحرق دبوانهم وبعض هياكلهم ونفى كثيرين منهم الى مادى. فبعلم سابق بهذه الحوادث قال نبي الله سينتقلون ويرتحلون الرجل والبهيمة[1]

واما ظلم الذين فتحوا بابل فقد وصفهُ الانبياء بالتدقيق فقالوا هم ظالمون في الغضب والسخط الهايل ليخربوا الارض. وقد تم ذلك كل التمام في الفرس والماديين والمكدونيين والفرثيين والسوريين والرومانيين والعرب. فجميعهم قومًا بعد قومٍ توافقوا بغضبهم القاسي وسخطهم الهايل على خراب هذه المدينة التي كانت مرةً ذهبية وهذه الكورة التي كانت مرةً حسنة مخصبة. والى ذلك يشير النبي بقولهِ ان سيفًا على الكلدانيين وصوت حربٍ في الارض وهلاك عظيم. سأُوقِد نارًا في مدنهِ فتحرق جميع ما حولهُ. وتصير كلدية نهبًا وكل من ينهبها سيشبع يقول الرب. السيف على خزاينها فتُنهَب. ايتها الجالسة على مياهٍ كثيرة ذات الخزاين العظيمة قد جاءت اخرتك[2]

واما وصف النبي لخراب بابل التام فلم يكن اصح مما هو لو كان النبي حاضرًا وشاهدهُ عيانًا. فانهُ يقول واعاقب ارض الكلدانيين واجعلها خرايب دايمة واقطع الزارع من بابل ومن يتناول المنجل يوم الحصاد. القحط في امواهها فتجف. ها ان اخرة

(١) ارميا ص٥٠ ع٣ (٢) ارميا ص٥١

التبابل يبسٌ وقفر. ومدنها خرابٌ ويبسٌ وقفر. ارضٌ لايسكنها انسانٌ وابن الانسان لايمرُّ بها. وارسل الى بابل من يذريها ويفرغ ارضها. سترتجف الارض وتحزن لان مقاصد الرب كلها تتمُّ في بابل لتجعل ارض بابل خرابًا لايسكنها احدٌ[1]

واما سقوط هذه المدينة فكان بالتدريج على غير انقطاع. فانه في الجيل الثاني للتاريخ المسيحي لم يبقَ منها غير الاسوار. وفي الجيل الرابع اصلحوها لتكون زريبة للوحوش البرية. فصارت بابل ارضًا يصطاد فيها ملوك الفرس. ثم لما وقعت في ايدي العرب تمَّ خرابها. والان مضى عليها بعد ذلك دهورٌ عديدة وهي على ما وصفها النبي بقوله لايسكنها انسانٌ وابن الانسان لايمرُّ بها. العربيُّ لايضرب خيمتهُ هناك والرعاة لايجعلون زرابيهم هنالك[2]. وجميع ما بقي من المدينة انما هو تلال خرايب وكراديس لبن قديمة. وذلك يطابق باتمام نبوة ارميا القايل تصير بابل رابياتٍ. اجمعوها كالرابيات. ولايُترَك شيء منها. سقطت بابل افخرطت الى الارض. سقطت اساساتها ولا تُسكَن من جيلٍ الى جيل[3]

ولنذكر الان اخبار السوَّاح المتاخرين الذين زاروا خرايب بابل. قال منيان في ذلك كان طريقنا بين كثيرٍ من الروابي الخَرِبة وهي موضع بابل اليابسة. ولا يمكنني ان اعبّر عن

(١) ارميا ص٥٠ (٢) اشعيا ص١٣ (٣) ص٥ وص٥١

القفر الموحش المنفرد الذي كان امامنا. وقال بورتر ان سكوتًا كسكوت القبر كان بين تلك الخرايب. ان بابل الان منظرٌ صامتٌ وخلوةٌ عظيمة. وعلى حسب قول راولف الذي كان في الجيل السادس عشر لم يكن في دايرة بابل القديمة منزلٌ واحدٌ ينزل فيهِ الانسان. فهو يقول تجول العين في برية مقفرة الخرايبُ فيها هي الاشارة الوحيدة الى انها كانت في وقتٍ ما عامرةً. وقال كبل لا يمكن ان ينظر احدٌ هذا المنظر ولا يخطر بباله صحة نبوة اشعيا وارميا. انتهى. وانهُ امرٌ غريبٌ ان عرب البادية الذين يسكنون القفار ويترددون كثيرًا الى ذلك المكان لا يضربون خيامهم بين خرايب بابل. ولكن منيان يخبرنا بانهم لا يرضون ان يبيتوا ليلة بقرب اعظم تلالها اذ يعتقدون بان ارواحًا شيطانية تسكن هناك. وقال ان ستةً من رجال البادية صحبوهُ الى هناك ومعهم كثيرٌ من السلاح ولكنهُ لم يقدر ان يرضيهم بالاقامة هناك بعد دخول الليل

وذلك المكان ايضًا مملوء من الحيوانات الكريهة والاجام المنتنة. كما قد اخبر بعض السواح ان بين خرايبها توجد كهوفٌ كثيرة للوحوش الضارية. فقال رِتش انهُ يوجد كثيرٌ من البوم والخفّاش هناك. وعلى التل الذي يُظَنُّ انهُ خربة هيكل بعل راى بورتر ثلثة اسود كبار. وهناك يسكن ايضًا الضبع وابن اوى. فمن لا يرى والحالة هذه صحة نبوة النبي القايل وتكون

هناك وحوش البادية وتمتلي بيوتهم من الحيوانات الكريهة ويسكن هناك البوم وترقص الجنّ هناك.[1] وقد انمحى شاطي الفرات من الجهة الغربية واذ ليس حاجزٌ يصدُّ النهر طاف على الارض المجاورة فغمر كثيرٌ من خرايب بابل غربيَّ النهر حتى انهُ بعد تناقص ماء النهر يبقى كثيرٌ من تلك الارض بالوعةً متصلة لا مدخل للانسان فيها. والظاهر ان النبي اشار الى ذلك اذ قال جاء البحر على بابل فتغطَّت بامواجهِ الكثيرة[2]. وما ظاهرهُ مناقضٌ لهذا الوصف هو ايضًا صحيحٌ. فان بعض الانبياء يصفون بابل بانها يبسٌ وبرية وقفر. وذلك عين الواقع لانهُ وان كان ما على الجانب الواحد من النهر قد غطَّتهُ المياه لكن ما كان على الجانب الاخر يابسٌ جدًّا وبرية مقفرة

ثم نظرًا لما تبلغ اليهِ شهادة التاريخ من الازمنة القديمة يظهر لنا ان هيكل بعل كان اعلى من كل ما بناهُ البشر وعلى كل حالٍ كان اعلى من اعظم الاهرام المصرية. والارجح ان هذا الهيكل بُني على اساس برج بابل. والسوَّاح المحققون يظنون ان اعلى الرابيات بين الخرايب هو موضع هذا الهيكل الشهير. وهذه الخربة ممتدة على اكثر مما كان الهيكل ممتدًّا عليهِ. فيقول منيان ان رويتهُ كروية تلَّه عليها قلعةٌ. والعرب يسمونهُ برج نمرود.

(١) اشعيا ص١٣ ع٢١ (٢) ارميا ص٥١ ع٤٢

وبورتر الذي اخبرنا خبرًا مفيدًا عن هذه الخربة الواسعة قال وتوجد على راس التل قطع من اللبن لا هيئة لشكلها مجتمعة بلا ترتيب قد احمتها النار ببعضها. وارتفاع بعض هذه القطع العظيمة اثنتا عشرة قدمًا ودايرتها اربع وعشرون. وقد بقيت هذه القطع كما هي مع ان كل ما سواها صار ترابًا وذلك لان حرارة النار سبكتها

وابواب هيكل بعل العالية التي كانت لم تزل قايمة في ايام هيرودوتوس المورخ قد أُحرِقت بالنار. وعلى ذلك قول الانبيآء سقط بعل. وقعت الحيرة ببعل. امتدت يد الرب عليهِ فتد حرج الى اسفل من الصخور وجُعِل جبلاً مُحَرَقًا. والقصور العظيمة في بابل التي ربما كانت احسن ما رأتهُ اهل الدنيا كان اكبرها محاطاً بثلثة اسوار قوية تَعِد بالدوام وتكاد تضحك على الزمان قد اختفت بالكلية ولم يبقَ منها الا اثر الاسوار المحيطة بها. ومسافة دايرة هذه الخربة نحو نصف ميل وعلوها ماية واربعون قدمًا ولكنها الان قد صارت خرايب مختلطة ببعضها ومربضًا للوحوش الضارية ومملوة من الحيوانات الكريهة. فتمّ بذلك قول النبي تتعاوى الوحوش في خرايبها والتنانين في قصورها الحسنة. وقال منيان الحشرات المسمّة توجد كثيرًا بين خرايبها. ثم قال واذ كنت امشي على الحجارة المنهدمة وكِسَر اللبن المتفرقة في هذه الخربة العظيمة وانظر الى عظمة هذا الخراب خطر

ببالي الزمان الذي فيهِ كانت هذه الاسوار قائمةً شامخةً بمجدها وكانت هذه القصور محلَّ الطرب العظيم وسُمِعَت فيها اصوات من قد انمحوا عن وجه الارض منذ اجيال عديدة. فهذه الرابية نفسها كانت محلَّ الرفاهية والرذايل واما الان فقد صارت دثارًا ومثالاً محزنًا لانتقام الله. فهي خالية لا يُرَى فيها مسكنٌ حتى ولا خيمة من يرعى المواشي في البرية. وذلك يطابق بالتمام قول النبي قد أُنزِل افتخارك وصوت العود الى القبر. قد انتشر الدود تحتك والدود يغطّيكِ

وفي هذه المدينة العجيبة لم يكن شيءٌ ابهج من علو الاسوار وعرضها. لان عرضها كان يسع ست مركبات تُجَرُّ عليهِ واحدةً بجانب اخرى. وقيل ان علوَّها الاول كان ثلثماية وخمسين قدمًا او ثلثماية على الاقل. نعم ان داريوس اهبط شيئًا من علوها ولكنها بقيت اعلى من اكثر الاسوار الاخرى. فاين هي الان. لم يبقَ لها اثرٌ البتة. لانه قد فحص بكل تدقيق السايحان بكنهام وفريدريك لكي يجدا شيئًا من اثر اسوار بابل ولم يجدا شيئًا. فيقول فريدريك انهُ لم يرَ احدٌ من السواح المتاخرين شيئًا من اثر السور ولا الخندق حواليه وفي مسافة واحد وعشرين ميلاً بجانب الفرات طولاً واثني عشر عرضًا لم استطع ان ارى شيئًا يوهم انهُ كان قبلاً في هذه الرحبة الواسعة سورٌ او خندق. واخبر كبل ايضًا انهُ هو واصحابهُ من السواح الذين كانوا معهُ

لم يجدوا اثرًا لاسوار المدينة. ثم يقول ان النبوات الالهية على بابل قد تمت بهذا المقدار على ما يظهر من الخرايب حتى انني اعتقد بكل ما يتضمنهِ معنى كلمات ارميا عند ما يقول ستسقط اسوار بابل العريضة سقوطًا تامًّا[1]

وتُنبِّي ايضًا ان بابل تكون دهشةً وكل من يمرُّ بها يندهش. ومقدار مطابقة هذه النبوة لاحساس السواح المتاخرين يظهر من كلامهم. فيقول بورتر لم يمكني ان اضبط نفسي عن الاشعار بوقارٍ غير موصوفٍ في مرورهِ كانهُ بابواب بابل الساقطة. ويقول منيان لا يمكني ان اصف ما اعتراني من الاحساس الشديد بوقارٍ عظيم اذ كنت اتامل اتساع الخراب ومقدار الدثار على كل جانبٍ. ويضيف بورتر الى ذلك في مكانٍ اخر هذه العبارات اللطيفة وهي قولهُ وكان منظر ذلك الخراب في غاية الهيبة. فلا يزال نهر الفرات العظيم نهرًا شريفًا ولو كانت ارض مجراهُ مقفرة وهو سابرٌ في الوحدة كالسلطان السايح بين خرايب مملكتهِ الهالكة اذ كانت شطوطهُ شايبة بالقصب ولا يزال هناك الصفصاف الذي علق عليهِ اسارى اسرايل قيثاراتهم ولم يريدوا ان يتعزَّوا لفقد اورشليم. ولكن كيف تغير المنظر منذ ذلك. فانهُ كانت تلك التلال المكسَّرة اذ ذاك قصورًا وهذه

(١) ارميا ص٥١ عدد

الروابي الغير المستوية اسواقًا وكانت هذه الخلوة الواسعة مملوءةً من رعايا ابنة المشرق الشامخة . ولكنها الان قد تلفت بالخراب ومنازلها لا توجد وهي قد غطاها الدود

وقال في ذلك المعلم كيث هذه العبارات اللطيفة وهي قولهُ الم نتمّ جميع احكام الرب على بابل . من يجيب بالانكار عند استماع هذه السوالات من صاحب النبوات المذكورة آنفًا اذ يقول من خبر بذلك منذ القديم ومن اعلنهُ من ذلك الحين . أليس انا يقول الرب وليس الهٌ اخر غيري يخبر بالاخريات منذ البدء ومنذ القديم قد اخبرت بما لم يكن قايلاً مشورتي تدوم واعمل كل مسرّتي . فهل يمكن وجود برهانٍ لصدق النبوة اعظم من هذا . ان اخبار الجنس البشري لا يوجد فيها مخالفة اغرب مما يوجد بين عظمة بابل القديمة وخرابها المستطيل ومع ذلك ما اقلّ الاماكن التي تصورت لنا صورتها واضحة وصادقة نظير صورة بابل الساقطة المصورة من النبوة حين كان لا يوجد بقعةٌ من الارض اقل مشابهة لها من منظرها الحاضر المقفر المتوحش . وهل يمكن ان تكون نبوات عن مكانٍ ادقّ واعجب واكثر واصدق من هذه النبوات وهي قد تمت فيها شيئًا فشيئًا في اجيالٍ عديدة

ومن المدن الشهيرة القديمة صور وقد تُنبّئ عنها بنبوات غريبة عجيبة تمّت فيها بكل تدقيقٍ . فتنبأ اشعيا عنها عند ما

كانت في مجدها متكبّرة بالرفاهية حاصلة على اغنى متاجر العالم وذلك قبل ان يظهر عليها شيء من لوايح الخطر بماية سنة على الاقل . والسبب الذي ذكرهُ النبي لحلول احكام الله على هذه المدينة العظيمة هو كبريآوها اذ يقول رب الجنود اراد هذا ليخفض كبريآء كل كرامةٍ ويذلّ كل اشراف الارض[1] وحزقيال النبي يتكلم في ثلثة فصول عن رفاهية صور وثروتها ومتجرها وخرابها

ومما تُنبيء عن صور بالهامٍ الهي ما سنذكرهُ اولاً ان الكلدانيين ياخذون هذه المدينة الغنية الكثيرة الاهل . وكان الكلدانيون في زمان هذه النبوة شعبًا حقيرًا . وحزقيال لا يتنبا فقط بان خراب هذه المدينة يكون من ايدي الكلدانيين بل يسمّي ايضًا اسم الملك الذي ياخذها اذ يقول هكذا يقول الرب الاله اجلب على صور بختنصر ملك بابل ملكًا قويًا من الشمال بخيلٍ ومركبات وفرسان . فيقتل شعبك بالسيف ويهدم حصونك المنيعة الى الارض[2] ويخبرنا يوسيفوس ان بختنصر حاصر صور ثلث عشرة سنة حين كان ايثوبعل ملكها . وهو يستند في ذلك على قول مينندر الافسوسي . وتواريخ فينيقية ايضًا توافق هذا القول تمامًا

ثانيًا تُنبيء ان سكانها يعبرون بحر الروم الى الجزاير والبلدان المجاورة . فيقول اشعيا اعبروا الى ترشيش وولولوا يا سكان

(١) شعيا ص٢٣ ع٩ (٢) احزقيال ص٢٦ ع٧ الى ع١١

الجزيرة قوموا واعبروا الى كِتيم وهناك ايضاً لاتجدون راحةً [١] ومثل ذلك قول حزقيال تضطرب الجزاير التي في البحر عند ذهابك. وانهُ لواضحٌ من المورخين القدماء ان من الصوريين من ذهب وسكن اماكن كثيرة في البحر منها مدن قرطاجنة في افريقية وطرطوس في اسبانيا وهي التي يسمّيها الانبياء ترشيش

ثالثاً تُنبيء ان صور تُرَدُّ بعد سبعين سنة. واشعيا يعيّن هذه المدة بقولهِ وفي ذلك اليوم تُنسَى صور سبعين سنة مثل يوم احد من الملوك [٢] وذلك يشير الى دوام دولة الملوك الكلدانيين التي كانت سبعين سنة فقط. وهي ما يقولهُ ارميا في سلطة بابل وتعبُّد هذه القبايل لملك بابل سبعين سنة [٣]

رابعاً تُنبيء ان صور تُخرَب ثانيةً بعد ما رجعت الى ما كانت عليهِ قبلاً. ولما فتح بختنصر المدينة اخذ اهلها اموالهم وركبوا سفنهم وتخلصوا. فوعدهُ الله بمصر جزاء عن تعبهِ الكثير وربحهِ القليل في محاصرة صور. ولما رجع اهلها لم يبنوا بيوتاً في المكان القديم بل ذهبوا الى جزيرةٍ منفصلة من البر بمضيقٍ من البحر وفيها قامت المدينة الجديدة وازهرت في التجارة والغنى. واما الانبياء فلم يتنبأوا فقط عن خراب صور القديمة بل عن خراب الجديدة المبنية في وسط البحر ايضاً. فيقول اشعيا ولولوا

(١) اشعيا ص٢٣ ع٦ (٢) ص٢٣ ع١٥ الى ع١٧ (٣) ص٢٥ ع١١ وع١٢

باسكان الجزيرة. ويقول حزقيال من كان مثل صور التي صارت بكمى في جوف البحر[1] وزكريا الذي كان زمانًا طويلاً بعد خراب الاولى يقول مشيرًا الى الثانية وقد بنى صور لنفسهِ حصنًا منيعًا وجمع فضةً كالتراب وذهبًا ابريزًا كطين الاسواق. هوذا يطرحها الرب خارجًا ويضرب قوتها في البحر وتُتْلَف بالنار[2] وكانت هذه المدينة الجديدة حصنًا منيعًا بالحقيقة اذ لم يحمِها البحر فقط بل كان على اسوارها مايةٌ وخمسين قدمًا. ثم ان نبوة حزقيال صريحةٌ ايضًا في ان خراب صور الثاني يكون بالنار وعلى ذلك قولهُ واخرج نارًا من وسطك فتهلِكك واجعلك رمادًا على الارض امام كل من يراكِ. وبحسب ذلك حاصرها اسكندر الكبير وفتحها واحرقها بالنار. وهذا صريحٌ من شهادة كونتوس كورتيوس[3]

نعم ان موقع صور في جزيرةٍ واستيلاءها على البحر قد منعا عسكر الاسكندر عن الوصول الى اسوارها زمانًا. ولكنهُ اخذ حجارة المدينة القديمة وخرايبها وطرحها في البحر بينهُ وبين الجزيرة حتى صارت مسلكًا اليها. فتمت بذلك نبوة حزقيال حيث يقول سيطرحون حجارتك وخشبك وترابك في وسط البحر[4] وكان هذا العمل كثير العناء فاشتغل بهِ عسكرهُ سبعة

(١) ص٢٧ ع٣٢ (٢) ص١٨ ع٨ (٣) انظر كتابهُ الرابع راس ٥
(٤) ص٢٦ ع١٢

اشهر. وفي هذه المرة ايضاً ركب الصوريون سفنهم وهربوا في البحر. لان ديودوروس سيكولوس وكونيتوس كورتيوس يشهدان انهم ارسلوا نساءهم واولادهم الى قرطاجنة وهم في الحصار وعند ما أُخِذت المدينة احتال الصيداويون على اخذ خمسة عشر الف نفس منها في مراكبهم والذين نجوا بانفسهم كانوا سعداء لان الاسكندر عامل الذين ظفر بهم بكل قساوة اذ قُتِل ثمانية الاف في اخذ المدينة وصُلِب الفان وبيع ثلثون الفا عبيداً

ومع ان صور بُنِيَت ثانيةً وازهرت زماناً نفذ قضاء الله في نبوة انبيائهِ ان هذه المدينة التي كانت مفتخرة وكانت سيدة البحر تصير خراباً بالكلية. كما ان حزقيال الذي وصف غناها وتجارتها وافتخار ملوكها وتجارها قد تنبأ بكل تدقيق على خرابها ودثارها التام اذ قال هكذا يقول الرب الاله ها انا ضدُّك يا صور واجعل امماً كثيرة تاتي عليكِ كما يجعل البحر امواجهُ تصعد فيخربون اسوار صور ويهدمون ابراجها. واقحط ايضاً ترابها منها واجعلها كراس صخرٍ وتكون موضعاً لنشر الشباك في وسط البحر لاني قد تكلمت بذلك يقول الرب. ثم ان النبي اشعارًا بتاكيد خراب صور التام يكرر ما قالهُ آنفاً بقولهِ واجعلك كراس صخرٍ وتكونين موضعاً لنشر الشباك ولا تُبنَين فيما بعد لاني انا قد تكلمت بذلك يقول الرب الاله. وايضاً اجعلك مهابةً ولا تكونين فيما بعد واذا طُلِبتِ فلا تُوجَدين ابداً يقول الرب الاله

ولاجل الوقوف على مقدار صحة هذه النبوة فلننظر الى اخبار السواح في الاجيال المتاخرة عن هذه المدينة الشهيرة. فيقول كونوفيكوس السايح الفلمنكي الذي حضر الى سوريا سنة ١٥٩٨ ان هذه المدينة التي بُنِيَت مرارًا كثيرة بعد خرابها قد خربت الان خرابًا تامًّا حتى خرجت عن كونها مدينةً والذي يوجد منها انما هو بعض اثار لخرابها الاصلية. فليس شيء باقيًا الان من صور الا بعض قناطر وحمامات واسوار متهدمة وابراج داثرة. انتهى

وموندرل الانكليزي يقول ان هذه المدينة قايمةٌ على البحر في جزيرةٍ متصلة بالبر وهي تُرَى من بعدٍ كانها عظيمةٌ جدًّا ولكن متى وصلت اليها لاتجد فيها شيئًا من ذلك المجد الذي اشتهرت بهِ في الايام القديمة والذي وصفها بهِ حزقيال النبي في الفصل السادس والعشرين والفصل السابع والعشرين والفصل الثامن والعشرين من نبوتهِ. فعلى الناحية الشمالية لاترى الا قلعةً مهجورة بناها المسلمون. وما عدا ذلك فهو اسوار واعمدة واقبية مكسَّرة مطروحة بعضها على بعضٍ. فلم يبقَ بيتٌ واحدٌ سالمًا من الخراب. واما اهلها في هذه الايام فهم قلايل فقراء ينزلون بين الخرايب ويعيشون غالبًا من صيد السمك والظاهر ان العناية الالهية حفظتهم في هذا المكان ليكونوا برهانًا واضحًا على ان الله قد اكمل كلمتهُ في صور بحيث تكون كراس صخر ينشر الصيادون

شباكهم عليه . انتهى

وفولني ايضاً الكافر المشهور قد اضطرّ ان يشهد كما شهد غيرهُ لصحة تمام النبوة الالهية على صور فانهُ بعد ان قابل مجدها الاول بخرابها الحاضر قال ان جميع قرية صور ليس فيها الا خمسون او ستون عايلةً يعيشون بالفقر من غلات اراضيهم القليلة وصيد السمك . وبذلك شهد بان نبوة النبي قد تمت في ان مدينة صور المشهورة بالغنى والعظمة تكون خراباً ومتزلاً للصيادين . وبروس السايح يصف صور بكلمات النبي نفسها اذ يقول وصور هي صخرٌ ينشر عليها الصيادون شباكهم . ومثل ذلك شهادة كثيرين من الذين زاروها . ومن ذلك نرى ان نبواتٍ عجيبة كتبت من اكثر من الفي سنة قد تمت . ونعاين تمامها في هذه الايام في خراب اغنى مدن الدنيا واعظمها

ومن النبوات العجيبة ما ذُكر في كتاب دانيال فانهُ يذكر فيهِ قيام اربع ممالك على التوالي وفتوحات الاسكندر وخلفآئهِ بظروفٍ عديدة يلوح منها كأن كلامه كلام مورّخ يخبر بالوقايع بعد وقوعها . فان بورفوريوس احد العلمآء القدمآء المضادّين للديانة المسيحية من تعجبهِ من المطابقة بين هذه النبوات وتواريخ الحوادث التي تمت فيها ذهب الى ان كتابة النبوات كانت بعد وقوع الحوادث . فاذ لم يمكنهُ ان يدعي بالخفآء فيما ذُكِر كما هو عادة الكافرين في امر النبوة اعترض على صراحة النبوة

وتفصيلها الوافي. وذلك احوج ايرونيموس ان يقول ان هذا الاعتراض شهادةٌ للحق لانهُ من صراحة كلام النبي ظهر عند الكافرين كانهُ يخبر عن حوادث ماضية لا انهُ يتنبأُ عن حوادث مستقبلة

ولا يخفى بطلان قول بورفوريوس ان كتاب دانيال كُتِب بعد زمان انطيوخوس ابيفانيوس لان يوسيفوس اخبرنا ان الاسكندر الكبير لما حضر الى اورشليم عُرِضَت عليهِ نبوات دانيال فكان ذلك سببًا لمنحهِ اليهود حقوقًا كثيرة. وفضلاً عن ذلك قد ذُكِر دانيال في سفر المكابيين الاول ويوسيفوس نفسهُ يعدُّهُ من اعظم الانبياء. مع انهُ لو كُتِب هذا الكتاب في هذا الزمان المتاخر لما قَبِلَهُ اليهود بين كتبهم القانونية